بقيد

وقصائد لمياه الأحزان

عبد العزيز المقالح

الكتاب :
بلقيس وقصائد لمياه الأحزان
شعر: عبد العزيز المقالح
التاريخ يناير ٢٠٠٥
رقم الإيداع:١٨٧٥/٢٠٠٥
الترقيم الدولى :

رئيس مجلس الإدارة
محمد حامد راضى

تصميم الغلاف : حامد العويضى

العنوان والتليفون
٥ ش مصطفى طموم
- المنيل- القاهرة
تليفاكس ٣٦٥٥٤٨٧

إهداء

إلى روح أخي محمد..

الشاعر الذي أحبَّ الناس فاعتزلهم،

وأحبَّ الشعر فكتبه لنفسه.

بلقيـــــس ..

إلى قرية ("سنحـــــر)، وإلى أهلهـا الطيبين..
ذكـرى زيـارة قصـيرة في صـيف عـام 1995م

بلقيـــــــــس

إلى قرية ("سحـــــر)، وإلى أهلهـــا الطيبين.
ذكـرى زيـارة قصـيرة في صـيف عـام 1995م

هيَ منْ هذه الأرضِ
معجونةٌ بأساطيرِها
وبأحزانِها،
ولها منْ جمالِ السُّهُولِ
ومنْ كبرياءِ الجبالِ،
ولم تنحدرْ منْ سماءِ الخرافاتِ
أو هطلَتْ ذاتَ صبحٍ معَ الغيمِ،
ما زالَ شُبّاكُ مَنْزِلِها مورقاً
بالأحاديثِ
واللّفَتاتِ،

وأصداءُ ضحكتِها

كسلاسلَ منْ ذهبٍ

تتفتَّحُ كالضَّوءِ عَبْرَ الزَّمانِ،

تَرِنُّ،

تزيلُ الغبارَ عنِ الرُّوحِ

واللُّغةِ المتعَبَةْ.

(منْ ألبسَني هذا الصَّوتَ

وأطعمَني هذا الإيقاعَ؟

ومنْ ألقى في شفتي

أطواقَ نجاةٍ للكلماتْ؟

منْ وهبَ الماءَ لذاكرتي

وأعادَ الشَّمسَ لدورتِها،

والنهرَ إلى مجراهْ؟

قالتْ بلقيسُ..

وأخفَتْ دهشتَها

في ثوبٍ مغسولٍ بالضَّوءِ

وبالعطرِ،

وعادَ الجفنانِ إلى النومِ

وقلبي عادَ إلى الصمتِ

المكسورْ).

في غيومِ الجبالِ المحيطةِ بالأرضِ

خبَّأتِ السيّداتُ طفولتَهُنَّ،

وبلقيسُ كانتْ هناكَ

بفتنتِها

ورشاقتِها،

وغداةَ الرَّحيلِ بكتْ

وتساقطَ ماءُ العيونِ لآلئَ

منْ فضةٍ..

شاهدتْها الجبالُ

وشاهدَها الضَّوءُ

وَهْيَ تخبِّئُ في غيمةِ سِرِّها

وطفولتَها،

وَهْيَ تعبثُ بالتّاجِ

تقذفُهُ يدُها النّاعمةْ.

(ويظلُّ القلبُ قريباً منها

مقتولاً بهواها،

يتحسَّسُ جدرانَ الذّكْرَى،

يغفو عندَ نوافذَ كانتْ يوماً

ترفلُ خلفَ ستائرِها،

كم مفتاحٍ حملَ القلبُ إليها

لكنَّ الكفَّ الأعمى ليس يرى

فأضاعَ تضاريسَ البرقِ

وأقفلَ بابَ الأكوانِ،

وراحَ يُغنّي

يبكي أسماءَ الأسلافْ).

هيَ امرأةٌ تعشقُ الحكماءَ

وتكرهُ صوتَ السّيوفِ

تراوغُ عسكرَها،

وتغيبُ عنِ القصرِ كي تلتقي بالرُّعاةِ

وبالبسطاءِ منَ الناسِ..

ماذا أرى؟

ضوءَ طيفٍ جميلٍ

يشاركُنا حُلْمَنا

يتقدَّمُ خمرةَ أشواقِنا دافئاً،

إنّه طيفُها.. طيفُ بلقيسَ،

يخرجُ منْ صفحاتِ الزَّمانِ القديمِ،

وفي شبقٍ مبهمٍ يحتوينا

يُرَمِّمُ أوقاتَنا بالأحاديثِ

يورقُ في شَطَحاتِ الخيالْ.

(قالَ سليمانُ: انكسري يا شهوةَ أحلامي

هذي المرأةُ فاتنةٌ

وأنوثتُها في حكمتِها،

لا الخمرةُ باحتْ بالأسرارِ

ولا السّاقانِ..

الحبُّ هراءْ

الشعرُ هراءْ،

والحكمةُ بابُ سماواتِ الشرقِ

ومخزنُ كلِّ يواقيتِ العالَمِ

فاطرِدْ بالحكمةِ كلَّ ذبابِ الوهمِ

وإعصارَ الرَّغَباتِ،

وعِشْ في الصحراءِ وحيداً

تتعلَّمْ كيفَ يذوبُ اللّهْوُ

وتمنحُكَ اللَّذَّةُ غربتَها!).

لسليمانَ أنْ يتمنّى

ويشتاقَ

للقلبِ في مأربٍ

أنْ يلوكَ مرارتَهُ،

ولبلقيسَ في عرشِها

المتألّقِ في وَلَهٍ

تنتقي منْ يواقيتِها

ومواقيتِها ما تشاءُ،

لترفعَ عنْ كاهلْ الأرضِ

عبءَ الحروبِ،

لها أنْ تبعثرَ أشواقَها

ومواجعَها في رمادِ الهزيمةِ،

أو أنْ تخافَ الوشاةَ،

وأنْ يلعقَ الحزنُ أهدابَها

والترابْ.

(الآنَ وقد غسلَ اللهُ الأرضَ

منَ الحزنِ

وشعشعَ وجهُكِ بعدَ الموتِ

وبعدَ القبرْ،

هذا عطرُ مناديلكِ ملءَ الوادي؛

يَتَّكِئُ الوردُ عليهِ..

تقولُ عصافيرُ القريةِ: ما شئتم فخذوا،

لا ترتعشُ الأجفانُ منَ الضَّوءِ

ولا الكلماتُ منَ الصَّمْتْ).

يتلألأُ كالبرقِ ضوءٌ لبلقيسَ

في عَتمةِ الرَّملِ

تخرجُ منْ (سَحَرٍ)

في ثيابِ الطفولةِ مشمسةً،

يتفجَّرُ منها الصباحُ بألوانِهِ

نهدُها راقصٌ في الفضاءِ الفسيحِ

وأقدامُها تنقشُ الأرضَ ورداً

و(فارعةً).

يا ظباءَ السعيدةِ

هذا كيانٌ منَ الحُلْمِ

أم إنَّ جدرانَ (غَيْمانَ)

تنشقُّ عنْ وطنٍ آخرٍ للنجومِ

وللحبِّ،

عنْ وطنٍ للجمالْ؟

(بستانْ..

أمْ كَفُّ اللهِ امتدَّتْ للإنسانِ،

فأيقظَ فيها الخِصبَ

وأحيا الألوانْ

هذا الأخضرُ يورقُ مطراً

والأبيضُ يكتبُ شمساً

والأصفرُ يرسمُ ذهباً،

وهنا سَحَرُ النَّشْوَى بعطورِ الماضي

تتعرَّى في زهوِ الصيفِ

وتكشفُ عنْ ساقٍ

فاتنةِ الإيقاعْ).

جسدٌ يتهادَى بِهِ رغبةٌ للصَّلاةِ

وللابتهالِ

كلابُ القبيلةِ شاءتهُ مأدبةً للضيوفِ

وللغرباءِ

ولكنّه في سحيقِ المدى ذابَ

صارَ شعاعاً

قصائدَ مورقةً بالعطورِ

وبالضَّوءِ،

أسلمَ للهِ غايتَهُ واستقامْ.

(في القرآنِ

وفي الإنجيلِ

وفي التوراةِ،

اكتحلتْ عينُ الأرضِ بطلعتِها

هطلتْ منْ بينِ الصفحاتِ

امرأةً لا أحلى،

وضميراً لا أجملَ..

يا جسداً منْ عبقٍ

منْ غيمٍ شفّافٍ،

كيفَ أعادوكَ إلى الصلصالِ،

وتحتَ سراديبِ الشهوةِ

باعوا بالقبحِ نشيدَ الإنشادْ؟!).

ليسَ في (سَحَرَ) اليومَ

ما يسندُ الرُّوحَ

لا شيءَ في الحجراتِ

ولا نارَ توقدُها،

هَرمتْ (سَحَرْ)

والحجارةُ والقصرُ،

شابتْ صخورُ الجبالِ المحيطةِ

والرَّملُ أثقلَهُ الخوفُ،

واحتدمتْ في التلالِ الرَّتابةُ..

لكنّها مثلَما رَسَمَتْها الفتوَّةُ

(بلقيسُ) سيّدةٌ للجمالِ

وفاتنةٌ للعصورْ.

(هذا بحرٌ لا ماءَ بِهِ

جاءَ إلى الأرضِ غريباً

ووحيداً

يتحسَّسُ صورتَهُ في عينيها،

وهنا شمسٌ شاختْ

سكبتْ دمَها الأبيضَ فوقَ الإسفلتِ،

فأثمرَ ناراً

وأصابعَ سوداءَ

ووقتاً مذبوحاً..

هلْ يصحو البحرُ

وينجو منْ ظمأِ الأيّامِ؟

وهلْ تدنو الشمسُ قليلاً

منْ زمنِ الإعصارِ الأوّلْ؟!).

يوليو 1995م

رومانتيكيّات

رومانتيكيّات

– 1 –

أَلَمَحْتَ في الأفقِ الذي يدنو إليكَ

الغيمَ أخضرَ،

يرتدي أشواقَهُ

للنسوةِ اللائي نزلْنَ،

ليستحمَّ بمائهنَّ النهرُ،

يشربَ منْ جمالِ عيونهنَّ السِّحْرُ

والأقداحُ تقتاتُ ارتعاشاً

هائجاً..

عذبٌ هوَ الرَّجَفانُ

حينَ تمدُّ نارَ أصابعِ الذّكرى

وترتعشُ الحجارةْ.

– 2 –

أشتاقُ مثلَ الغيمِ

مثلَ النهرِ،

للدِّفْءِ الذي يأتي كموسيقى

منَ اللاّئي يراودُهنَّ

صيفٌ دائمٌ كالعطرِ..

كانَ العشقُ – منذُ المهدِ –

يصحبُني،

يهدهدُ نارَ أشواقي

ويرسمُ لي طريقَ الحبِّ بالألوانِ

بالكلماتِ،

لكنَّ الجمالَ أعادني طفلاً

وأغلقَ دونيَ الأبوابَ

والأبوابُ خانتني..

وقالتْ للبعيدِ وقد جفاني:

"هَيْتَ لَكْ".

– 3 –

في اللَّيلِ،

حينَ تئنُّ أسئلتي

ويخرجُ منْ عباءةِ صمتِهِ شوقي

أراكِ وقد فرشتِ نوافذَ الأحلامِ

بالأهدابِ،

وانسكبَتْ عطورٌ في الحدائقِ،

هلْ أتيتِ؟

وهلْ أقولُ لإخوتي:

لا تدفنوا في الجبِّ أحلامي،
ولستُ أريدُ مُلْكَ النِّيْلِ
أو عرشَ الشَّآمْ؟

- 4 -

يا طفلتي يصطادُنا الإسفلتُ

تنكسرُ الأباريقُ

التي خبّأتُ فيها ما تبقّى

منْ صِبانا المورقِ المفتونِ..

هلْ في الكأسِ منْ عينيكِ

أسئلةٌ؟

وهلْ في الشارعِ المبتلّ بالأشجانِ

منْ أخبارِنا حرفٌ،

وفي الطرقاتِ صوتٌ؟

هلْ أفاضتْ وردةٌ عنْ حبِّنا الذّاوي؟

وهلْ سمعتْ بمصرعِهِ البلابلُ

– 5 –

خانتْ مواعيدُ الهوى سفني،

فكنتُ كما أنا

جسدي يقولُ لها:

اخْرُجي منْ قلبي المخزونِ

منْ شِعْري

ومنْ لغتي

ومنْ رئتي،

يقولُ لها: اخْرُجي منْ ماءِ أجفاني

ومنْ ثوراتِ أشجاني،

ألا فلتخرُجي منْ نارِ أغنيتي

ومنْ جسدِ الكلامْ.

أسـئلة... ومــرايــا

أسئلة... ومرايا

- 1 -

هلْ أخطأتُ طريقي

حينَ اخترتُ الحرفَ

فضاءً وجناحا؟

أُطلقُ قلبي في ملكوتِ الذّكرى،

أبحثُ في نَفَقٍ لا ضوءَ بِهِ

عنْ برقٍ مسجونٍ

يرسمُ للّيلِ صباحا،

هلْ أخطأتُ طريقي

فانسكبَ الحرفُ على دربي

شوكاً وجراحا؟!

– 2 –

يا أمّي..

كنتُ جنيناً في جوفِ الوَرْدِ .

وكانَ الوردُ جنيناً في جوفِ الماءِ

وكانَ الماءُ جنيناً في جوفِ الرَّعْدْ،

كيفَ تخلّى عني الوَرْدُ

تخلّى جسدي عنْ روحي؟

كيفَ تخلّى الماءُ عنِ الماءِ،

الرَّعْدِ – الوعدْ؟!

– 3 –

تحملني الرّيحُ على أطرافِ أصابعِها

ويواريني اللّيلُ على أطرافِ أصابعِهِ،

وكبوذيٍّ

يتسوّلُ لغةً منْ تابعِهِ،

أتعثّرُ

أغفو

أشكو،

فَيُلَبِّيني صمتي بمواجعِهِ،

وينامُ على صدري كلَّ مساءْ.

– 4 –

دثَّرَني صمتي بلحافٍ منْ ماءِ الكلماتِ

وأخْفى رأسي تحتَ سحابتِهِ

لم أندمْ،

عانقتُ الصمتَ

وأيقظتُ حروفي

وطقوسَ شجوني فيهِ،

وأطلقتُ لأجفاني ماءَ الحزنِ

وغيمَ الحسراتْ.

– 5 –

نصفُ بلادٍ لا تكفي

نصفُ صباحٍ لا يكفي

نصفُ صديقٍ لا يكفي،

ويخاتلُني فرحٌ ينشرُ ضوءاً مكسوراً

فوقَ مسائي

أيَةُ أشباحٍ تسرقُ نصفي؟

أيُّ غرابٍ يصطادُ إذا جاءَ اللَّيلُ

غنائي؟

– 6 –

عيناكِ غدي

عيناكِ ظِلالٌ ترقصُ

فوقَ بقايا جسدي..

يا واحةَ ضوءٍ

بضفائرِها تَنْهلْ،

وتغسلُ قمصانَ الخوفِ،

تبلّلُ بالذّكرى كبدي..

عيناكِ غدي.

- 7 -

يتخلّى عني الأصحابُ

فأهجرُهم،

وأرى في الشمسِ

وفي الشجرِ الأخضرِ،

في الوردِ ملايينَ الأصحابْ.

يهجرُني الشعرُ

فأشعرُ أنَّ حدائقَ روحي

معتمةٌ،

وجدارَ القلبِ بلا نافذةٍ

أو بابْ.

.....

.....

يتخلّى عني السُّلطانُ

فتخضرُّ الرُّوحُ بوديانٍ منْ وردٍ

ورياحينْ،

وأرى قفصاً يتهاوَى

وقيوداً حولي تتساقطُ،

وأفرُّ كعصفورٍ يتشوَّقُ للشمسِ

وللنَّسَماتِ،

وتفلتُ روحي منْ جثثٍ

ووجوهٍ كالأحذيةِ الملقاةِ

على العَتَباتْ.

ضريـــح مـن الكلمـات لـ(مريـم)

ضريـــــح من الكلمات لـــ(مريم)

- 1 -

في فلواتِ العمرِ الذّاوي

أسترجعُ شمسَ غدائرِها،

ويعودُ بيَ الشوقُ المشحونُ

بجمرِ الذّكرى،

نحوَ زمانٍ

أشهى منْ وعدِ الحبِّ

وأنقى منْ ورقِ الوردِ،

وأصفى منْ ضوءِ نجومِ القريةِ..

يا ذاكرتي رِفْقاً

أحتاجُ إليكِ الآنَ

لأخرجَ منْ كمدي،

لأطيرَ بأشرعةِ الذِّكْرَى

في وادٍ مغمورٍ بالسَّلْوَى.

– 2 –

حينَ تفتحُ أبوابَ ذاكرتي

ستراها

على جدولٍ منْ ميَاهِ الطفولةِ،

ساكنةً في انتظارِ الفراشاتِ

والأصدقاءِ،

رَذاذاً منَ الأغنياتِ القديمةِ،

تهطلُ منْ حارةِ الأغنياءِ،

ويندَاحُ في الأفْقِ صوتُ العصافيرِ

كالشَّهْدِ،

وَهْيَ هناكَ تضيءُ

وتورقُ في حَدَقاتِ المكانْ.

– 3 –

صبحاً.. كانَ لقاءُ القلبينْ

كانَ لقاءُ الطفلينْ،

كانتْ أكبرَ منهُ قليلاً

أهدأَ منهُ كثيراً،

ترسُمُهُ في عينيها في شفتيها،

يرسُمُها في عينيهِ وفي شفتيهِ،

ما أعذبَ أصبعَها المصبوغةَ بالحِنّاءْ،

كمْ تنفثُ منْ ماءِ الدّهشةْ!

– 4 –

في ظهيرةِ يومٍ بهيِّ الرُّؤَى

لم يكنْ في البلادِ سوانا..

الفضاءُ لنا،

أطعمَتْني لذيذَ الحديثِ

سقتني حليبَ الهوى،

خِلْتُ أني اتكأتُ على صدرِها

أنها وضعتْ رأسَها فوقَ صدري،

وأني بنيتُ على غيمةٍ

قصرَ أفراحِنا،

ثمَّ سوّرْتُهُ بشواطئَ منْ فضّةٍ،

وبحارٍ تخلّتْ عنِ الملْحِ

وارتحلتْ في نعاسِ الكلامْ.

– 5 –

في ضحوةِ يومٍ آخرْ

حملَتْنا أقدامُ الشوقِ لضاحيةٍ

سَكْرَى بالخضرةِ،

كانَ الضّوءُ هناكَ

يداعبُ أطفالاً

وأرانبَ،

يمشي بينَ خرافٍ ترعى

وفراشاتٍ تتوارى خلفَ الأعشابْ..

تركتْ كفّي بينَ يديها

وتسلّلَ صوتُ المزمارِ طريّاً

ونديّاً،

ذابتْ روحانا في النشوةِ

حتى جاءَ اللّيلْ.

– 6 –

(مريمُ احترسي

إنّ ذئبَ المجاعةِ يأكلُ أطفالَنا

ويواري الجمالَ بأكفانِه..

قيلَ: مريمُ جاعتْ

قيلَ: مريمُ نامتْ،

قيلَ: مريمُ ماتتْ؛

ليتني كنتُ خبزاً

تفتّتُهُ بأصابعِها

حينَ يدركُها الجوعُ.. مريمُ،

ليتَ الحقولَ التي منعَتْها سنابلَها،

لا تطيبُ

ولا تعرفُ الاخضرارْ.

- 7 -

ولقد كرّمْنا آدمَ بالموتِ،

وكرّمْنا - بالحزنِ - الأبناءْ،

عادتْ مريمُ للطينِ

وصرتُ وحيداً..

فاكتبْ بالحزنِ ضريحاً لهواكَ الأوّلِ،

مريمُ تحتَ الأحجارِ

وأنتَ وحيدٌ،

لا يربطُ عينيكَ بهذي الأرضِ

سوى ماءِ الحزنِ،

سوى صمتٍ يتساقطُ

في أحداقِ اللّيلِ،

سوى رائحةٍ منها

تتجدَّدُ في كفّكَ

في عينيكَ إذا لامسْتَ الأرضْ.

– 8 –

يهطلُ الحزنُ رملاً على كبدي

والقصائدِ،

ينهدمُ الشرقُ لا شمسَ في الأفْقِ،

ينهدمُ الغربُ لا قمرٌ

لا نجومٌ،

يوجِّهُني الحزنُ – بالألَمِ المتألّقِ –

حيثُ يريدُ،

ومرّتْ على شاشةِ العمرِ

(أفلامُ) أذكرُ أني رأيتُ..

وشاركتُ في بعضِ أدوارِها،

بيدَ أنَّ الحبيبةَ مريمَ

حاضرةٌ في صراطٍ منَ الذّكرياتِ

مشيتُ إليها،

بنيتُ ضريحاً لها في دمِ الكلماتِ،

وأجلستُها في أرائكِ ذاكرتي،

وَهْيَ نائمةٌ

ومخبَّأةٌ في شرودِ الترابْ.

- 9 -

يا أحبابي

يا نزلاءَ الحزنِ الدّائمِ

إنَّ خطايَ مسمَّرَةٌ

في أرضٍ تجرحُني بالذّكرى،

تنقذُني بالذّكرى

تكتبُ صمتي

وتقاسمُني عشبَ التّذكارِ،

تحاولُ أنْ تسلبَني عفّةَ حزني

وتصادرَ دندنةً أطلقَها عشقي

ذاتَ مساءٍ حالِمْ..

هلْ منْ موعظةٍ

يتكئُ القلبُ عليها،

ويواري خيبتَهُ الكبرى؟!

– 10 –

سوفَ تبقى معي

في ضريحٍ تلاشتْ معالِمُهُ،

في القصائدِ،

في شارعٍ مقفرٍ لا أنيسَ بِهِ

في اشتعالِ التذكُّرِ،

في دفءِ حُلْمٍ قديمٍ

وفي كلِّ وجهٍ جميلٍ قرأتُ ملامحَهُ،

وإذا ما التقينا هناكَ

سأقرأُ ديوانَ شعري لها،

وأقولُ: هنا أنتِ مرسومةٌ في القصائدِ

منقوشةٌ – كالتّعاويذِ –

في الذّاكرةْ.

شتائيّة

شتائيّة

داكنٌ وجهُ هذي المدينةِ

باردةُ القدمينِ،

ولا ضوءَ يومضُ

خلفَ شبابيكِها الخشبيّةِ،

تأوي المنازلُ فيها إلى بعضِها

والمقاهي تخافُ منَ اللّيلِ،

لا شيءَ يكسرُ جدرانَ عزلتِها

غيرُ أصواتِ نايٍ يمرُّ كما الغيمِ

فوقَ السطوحِ،

وأغنيةٍ تتسك

مبحوحَةَ الصوتِ

مبتلّةَ الكلماتِ..

لماذا يجيءُ الشتاءُ

– يقولُ صديقي –

ويغلقُ بالبردِ أبوابَنا

ويحاصرُ أيّامَنا المقفراتِ

بأمطارِ أحزانِه

وغيومِ كآبتِه؟

قلتُ:

منْ شرفاتِ الخريفِ يجيءُ

ومنْ ياسمينِ الربيعِ.

رماني – صديقي – بإيماءةٍ منْ يديهِ

وأهدابِهِ،

ومضى يتحسَّسُ وجهَ الطريقِ

بأقدامِهِ،

باحثاً في الميادينِ

في الحافلاتِ،

وعبرَ النّوافذِ عنْ ملجأٍ دافئٍ

عنْ روائحَ للصَّيفِ،

عنْ أثرٍ للزِّحامْ.

خمـــس لـوحـات

إلى شهداء الثورة الدستورية في 1948م

خمس لوحـــات

إلى شهداء الثورة الدستورية في1948م

النبـــيّ:

هوَ الشمسُ

منْ ضوئِهِ تستمدُّ الخليقةُ حكمتَها

واستنارتَها،

هوَ منْ أوصلَ الأرضَ باللهِ

في لحظةٍ لا مثيلَ لها،

بأصابعِهِ المطمئنّةِ

أوصدَ أبوابَ مملكةِ اللّيلِ

والظلمةِ الأبديّةِ،

أطلقَ في الأرضِ أشجارَهُ

وقناديلَهُ،

فاستوى ظلُّها

واستقامَ لها الضوءُ..

ماذا جرى يا ابنَ آمنةِ

المصطفى؟

كيفَ أغمدتَ سيفَ المحبّةِ

في كبدِ الحقدِ

أعلنتَ أنَّ العبادَ سواسيةٌ؟

كيفَ عادوا إلى أبيضٍ يتباهى

بما شَمَّعَ اللّيلُ منْ لونِهِ،

وشريدٍ يباهي بأحسابِهِ،

وغنيٍّ يواري فواحشَهُ

يشربُ الخمرَ معصورةً

منْ دمِ الفقراءْ.

الصّدّيق:

لِيَ في العزلةِ المطمئنّةِ

أنْ أتذكّرَهُ،

أتذكّرَ وجهاً منَ الصدقِ

أهدى إلى بشرِ الأرضِ

أمثولةً لليقينِ،

بماءِ صداقتِهِ

تكتبُ الأرضُ أبناءَها الطيّبينَ،

السَّماواتُ تختارُهم للمهمّاتِ،

تغسلُ أرواحَهم بندى الكلماتِ،

وتطلقُهم في فضاءِ العصورِ

جيوشاً منَ الضوءِ..

يا سيّدَ الصدقِ

يا ثانيَ اثْنينِ في الغارِ،

كيف ترى أمّةً لا صديقَ

ولا صدقَ في أهلْها،

تتقلّبُ جُثَّتُها فوقَ نارِ الأكاذيبِ

أحلامُها شجرٌ طاعنٌ

ومواقيتُها لغةٌ تالفةْ؟!

الفاروق:

أيجوعُ الخليفةُ

والأرضُ ملكُ يديهِ

الفراتانِ

والشّامُ

والنِّيلُ – لو شاءَ – كانتْ حدائقَهُ؟

ليسَ بالخبزِ يحيا تلاميذُ أحمدَ

أو بالقصورِ يشيدونَ مملكةَ اللهِ..

هذا أوانُ الحسابِ:

الخليفةُ جاعَ لتشبعَ أمّتُهُ

كم منَ الخلفاءِ يجوعونَ..

بل يشبعونَ ليأكلَ طفلٌ؟

وكم حاكمٍ يتفجَّعُ

إنْ عَثَرَتْ بغلةٌ في جبالِ العراقِ

أوِ ارتعدَتْ منْ بكاءِ اليتامى

أناملُهُ؟

يا لَهُ رجلٌ في ثيابٍ مرقَّعَةٍ

وضميرٍ بلا رُقَعٍ

أو ثقوبْ!

الباب:

رجلٌ مورقٌ

في أحاديثِهِ شجرٌ

وورودٌ،

إذا ما دخلتَ حدائقَهُ

غمرتْكَ النبوءاتُ،

واستحوَذَ الضَّوءُ – ضوءُ يديهِ –

عليكَ،

ومنْ ماءِ نهجِ البلاغةِ

يخرجُ نهرٌ منَ الصَّلَواتِ،

ونهرٌ منَ الحكمةِ المستريبةِ

في بشرٍ كالحجارةِ

لا يخشعونْ..

سيدي: إنَّ ليلَ ابنِ هندٍ

تناسلَ في الأرضِ أقنعةً

وسلاطينَ،

يسألُكَ الأفْقُ: أينَ المفَرْ؟!

الزهراء :

هيَ سيّدةٌ منْ شعاعٍ

وعطرٍ،

تماهتْ معَ النورِ،

حينَ تسيرُ تضيءُ النجومُ الأليفةُ

في خَطْوِها،

وعلى الأرضِ عطرُ شمائلِها

تتضوَّعُ منهُ الدهورُ

ولا ينتهي.

منْ رنينِ اسْمِها يصعدُ الضَّوءُ،

تورقُ أحجارُ مكّةَ

تخضرُّ صحراءُ نجرانَ،

سيدتي:

كلُّ ليلٍ له نجمةٌ تتحدَّى الظلامَ،

سوى ليلِنا لا نجومَ بِهِ..

أطفأَ الحقدُ أحلامَ كلِّ الرجالْ.

إيـمـــاء

إلى صاحب قصيدة (جمال) الصديق
الشـاعر محمد عبد السلام منصور

إيمـــاء

إلى صاحب قصيدة (جمال) الصديق
الشـــاعر محمد عبد السلام منصور

لا تَقُلْ ما ترى..

في القميصِ دمٌ يابسٌ

بيدَ أنّكَ لا تقرأُ الدَّمَ،

والذّئبُ متّهمٌ

بيدَ أنّكَ لا تعرفُ الذّئبَ،

عيناكَ لا تريانِ

ومنْ قُبُلٍ قُدَّ هذا القميصُ

تشقّقَ،

والبقعُ المورقاتُ عليهِ

دليلٌ على السُّوءِ،

لكنَّ..

إيّاكَ أنْ تتكلَّمَ

أو أنْ تبلّلَ بالصوتِ جُبَّ الدُّخانْ.

* * *

هلْ تحدّثْتَ عمّا رأيتَ؟

ادْخُلِ السّجنَ،

قطّعْ يديكَ

ورجليكَ في رَصْدِ أيامِهِ،

واقترفْ منْ ذنوبِ البراءةِ ما شئتَ،

لنْ يذكروكَ.

الصديقُ الذي حَمَلَتْهُ جفونُكَ

أكثرَ مما استطاعتْ زنازنُهم

لم يَعُدْ يتذكّرُ،

كم كانَ ممتلئاً بالكلامِ

وممتلئاً بالخصامِ فلا تنتظرْ،

والقميصُ الذي تترقَّبُهُ

ليعيدَ لعينيكَ إبصارَها

لنْ يجيءْ!

* * *

لم يكنْ قد رأى

حينَ قادوهُ للذّنبِ

واغتسلوا بدمٍ كاذبٍ..

حينَ قادوهُ للجُبِّ

واعتمروا بالدّراهمِ..

وامرأةُ الدّارِ كانتْ تساومُ

نسوتَها الطّائشاتِ على الإثمِ.

* * *

نصفُ الحقيقةِ

لا يصنعُ الحُلْمَ

فاكتمْ عنِ القمحِ رؤياكَ

عنْ سنواتِ الشعيرِ،

وقلْ: لا أرى..

قبلَ أنْ يلمعَ الشيبُ

في رأسِ (عَيْبانَ)*

في مَفْرقِ السنواتِ العجافْ.

* عيبان: جبل يطلُّ على مدينة صنعاء.

في انتظار الذي يأتي

إلى أ. ع. أ.

في انتظار الذي يأتي

إلى أ. ع. أ.

كمطرٍ نظيفٍ هاطلٍ منَ السّماءِ

بعدَما ارتوى

واغتسلتْ أطرافُهُ في زرقةِ اللّونِ

وفي طقسٍ منَ الضوءِ،

أتيتَ الأرضَ مورقَ الدّلالاتِ

غنيَّ القلبِ

حاملاً للناسِ أفراحاً،

وحاصداً سلالاً منْ ثمارِ الحبِّ

خبزاً منْ حقولِ الرُّوحِ..

يا هذا اقتربْ

ضَعْ قدميكَ فوقَ شوكِ الأرضِ

تختَفِ الأشواكُ

ضَعْهُما فوقَ مواقعِ الفتنةِ تنتهي

ويخرُجُ الإنسانُ

مترعاً بعطرِهِ الجميلْ.

* * *

ومثلَ موسيقى الندى

اهْبِطْ يا حبيبَ الأرضِ

لا تخشَ الدُّخانَ،

لم يكنْ سوى رمادِ المؤمنينَ

احترقتْ أنفاسُهم حزناً

وأشواقاً لساعةِ الرُّؤْيا،

يا حُلُمَ العصرِ

ويا ضميرَ الصوتِ،

هذه خيولُنا مسرجَةٌ في البابِ،

شابتِ الأجيالُ والجبالُ،

واضْمَحَلَّ الصبرُ وَهْيَ في انتظارِهِ:

إشارةً صاعدةً

أو ومضةً منْ بَرْقْ.

* * *

يا صاحبَ الزَّمانْ

انكسرَ الوقتُ

وضاقَ صدرُ الأرضِ،

لا مكانَ للعدلِ

ولا للحبِّ،

لا مكانَ للإنسانْ

اخْرُجْ إلينا منْ أعالي الرُّوحِ

إنَّ الأرضَ غابةٌ للقتلِ

غابةٌ للزمنِ الوحشيِّ،

فلتكنْ لنا،

للأرضِ ضوءاً خالصاً

يحملُ منْ أقاصي القلبِ نجمةً

ووردةً..

لعلَّها

لعلَّ الأرضَ.. أرضَنا

تغفو هنيهةً على ذراعِ اللهِ في أمانْ.

* * *

يا قلبُ..

سبحانَ الذي أسرى بضوئِهِ

بصوتِهِ،

ومنْ أعادَ للأعمى جناحَ عينيهِ

وللكسيحِ ماءَ القدمينِ،

سبحانَ الذي أعادَ للأنهارِ ماءَها

وللأشجارِ ظلَّها..

منْ أرجعَ الغريبَ بعدَ ألفِ عامْ

وأخرجَ النهارَ منْ عباءةِ الظلامْ

سبحانَهُ

سبحانَهُ،

منهُ لنا، لهُ السّلامْ.

سبع قصائد للموت

إلى ناجي العلي في ذكراه العاشرة

سبع قصائد للموت

إلى ناجي العلي في ذكراه العاشرة

- 1 -

المكانُ الجميلُ هوَ القبرُ

حيثُ المودّةُ صافيةٌ

والهدوءُ عميقٌ،

وحيثُ الترابُ حَنونٌ

كعهدِ الزّهورِ بِهِ

والفَراشاتِ،

لا ضجّةٌ،

يعجزُ الصوتُ عنْ فتحِ أقفالِهِ،

وهنا لا خلافَ معَ اللّونِ

كلُّ الخطوطِ تعانقُ أبعادَها

وتضاريسَها،

ليسَ في القبرِ متسعٌ للمخاوفِ

والحقدِ،

لا شيءَ يثقلُ صدرَ التشكُّلِ،

يا سيّدَ الحرفِ فاكتبْ هواكْ.

- 2 -

يا سيّدي..

أعرفُ أنَّ نرجسَ الحياةِ

يغويكَ بما يطلقُ منْ زينتِهِ الأولى،

وغيمَ الصيفِ يستأثرُ بالعينِ

وبالقلبِ،

وأنَّ القمرَ الفضِّيَّ يستهويكَ،

أنَّ نسمةً في آخرِ اللَّيلِ

تُضيءُ الجسدَ المضنى،

وموسيقى الصباحِ – في الشتاءِ –

تُنعشُ الرُّوحَ..

فماذا يجعلُ الموتَ الجميلَ

غرفةً مظلمةً

وَمَنْزِلاً بلا حبيبْ؟

– 3 –

صافياً مثلَ دمعِ العذارى

نقيّاً كسيفِ الرسولِ..

هوَ الموتُ يأتي إذا احتشدَ الرعبُ

في القلبِ

وامتلأتْ بالرِّمالِ عيونُ العصافيرِ.

يا سيدي..

"ضجعةُ الموتِ رقدةٌ يستريحُ الـــ

جِسْمُ فيها"...

فلا تكترثْ إنْ أتى،

والتقطْ صورةً معَهُ

لتراها – إذا ما اختفيتَ –

عيونُ الصديقِ المخاتلِ،

لا تسألِ العُمرَ

أيَّ ترابٍ سأدفَنُ فيهِ؟

وأيَّ مكانٍ سَيُعلنُ مويّ؟

فإنَّ البلادَ هيَ الموتُ،

إنَّ الرفاقَ هُمُ الموتُ،

إنَّ المكانُ هوَ الموتْ.

– 4 –

تتغشّاني الدّهشةُ

أصعدُ في دَرَجٍ

منْ توقِ الكلماتِ،

وأدخلُ بستانَ اللُّغةِ الفاتنِ

أحلمُ أنَّ يدي تمسكُ مفتاحَ الضوءِ

وأنَّ ملائكةَ اللهِ يسيرونَ معي

صوبَ مدائنَ لا أحلى،

وحدائقَ لا أحلى..

هذا نهرٌ للشعرِ

وهذا نهرٌ للموسيقى،

حوريّاتٌ عندَ الشاطئِ

تفتحُ وردَ الإيقاعِ،

تُدَوْزِنُ لحناً بأصابعِها

يوشكُ أنْ يَشْرُدَ

عنْ ملكوتِ الشعرْ.

وأرى موتي!

يا الله امنحني داراً

في هذا الملكوتِ الأخضرِ،

واكتبني منْ أهلْ الحظوةْ.

- 5 -

في الطريقِ إلى اللهِ

شاهدتِ الرُّوحُ - في ضفَّةِ الموتِ -

حشداً منَ الأهلْ والأصدقاءِ،

الذينَ رأتْ رحمةُ اللهِ

أنْ يسبقوا القافلَةْ..

زملاءُ الطفولةِ كانوا هناكَ

على تَلّةٍ منْ لُجَينٍ

وكانوا - كعهدي بهم - يرتعونَ

ويستبقونَ،

ملابسُهم لم تعدْ رثّةً ومرقّعَةً،

وأصابعُهم تطأُ المسكَ والزعفرانَ..

هنيئاً لهمْ – قالتِ الرُّوحُ –

وانطلقتْ بي

إلى حيثُ يحتشدُ الأهلْ

والأصدقاءُ،

لنأكلَ منْ ثمرِ الخُلْدِ،

نشربَ منْ أبديِّ المياهْ.

– 6 –

وَضّاءٌ كأسُ الموتِ

كنجمٍ يتشمَّسُ قربَ البحرِ،

وفي غمضةِ عينٍ تشربُهُ الرُّوحُ

فيغشاها خَدَرٌ

ونعاسٌ،

تتمايلُ

تخرجُ مني،

تمضي عبرَ فضاءٍ مغسولٍ بالعطرِ

مبلّلَةً بالنشوةِ،

عادتْ نحوي،

حملَتْني إيماءاتُ يديها

اجْتَزْنا سُورَ الصَّفْصافِ،

دخلْنا قصراً شَفّافَ الجدرانِ،

رأى قلبي أرضاً ظلّلَها الغيمُ،

وشمساً خلفَ تلالٍ بيضاءٍ..

أيُّ بهاءٍ هذا المنثورُ على الأفْقِ؟

وأيةُ أسماءٍ مترعَةٍ بالألوانْ؟!

– 7 –

يا سيّدي.. أسئلةٌ ساذجةٌ خضراءُ،

تعبرُ الفؤادَ..

أينَ ترحلُ الرُّوحُ؟

وكيفَ تصعدُ الأجسادُ في معراجِ نُورِها؟

وأيَّ جنّةٍ تضمُّ هذا الكَمَّ منْ أحزانِنا؟

وهلْ يرى الحرفُ ظلالَ نفسِهِ

وتقرأُ العبارةُ ارتعاشَةَ المعنى؟

وهلْ تموتُ الكلماتُ مثلَما نموتْ؟!

القـــصيدة

القصيدة

-1-

هطلَتْ على دميَ القصيدةُ

ذاتَ صبحٍ هادئٍ،

كانتْ هيَ الغيمَ الوحيدَ

على جدارِ اليومِ،

كانَ الأفْقُ أبهى

منْ جبينِ حبيبةٍ ضَحِكتْ..

دنتْ مني – القصيدةُ –

في ثيابِ الصبحِ،

ألقتْ صمتَها في ماءِ وجهي،

فاغتسلْتُ بعطرِها

ومشيْتُ مزهوّاً،

كأني أرتقي معراجَ

هذا الشعرِ وحدي

لا ينازعُني أحدْ.

- 2 -

هطلَتْ على القلبِ القصيدةُ

كانَ مسكوناً بحزنٍ

في اتّساعِ الأرضِ،

مشحوناً بضوضاءِ البلادِ

وخوفِها..

لكنّها اقتربتْ،

وألقتْ ماءَ معناها

على جرحِ العبارةِ،

فاستعادَ الحائطُ المكسورُ

وحدتَهُ،

وطارتْ في شراييني

وطابَ لها العروجُ،

وأدركَتْ زمنَ الخروجْ.

– 3 –

هطلَتْ على جفني القصيدةُ

في صباحٍ هادئٍ،

كانت طيورُ الخوفِ

تنقرُ صحوَ نافذتي،

وماءُ الحزنِ يهطلُ..

بيدَ أنَّ ندى القصيدةِ

كانَ أكبرَ،

ماءَ أحزاني توارى خلفَ أطيافٍ

منَ الكلماتِ،

أقصى صحوَةُ لشفيفِ أحلامٍ،

وأشجارٍ منَ السلوانِ..

ماذا بعدُ تنتظرُ القصيدةْ؟

- 4 -

هطلتْ على الورقِ القصيدةُ

بعدَ أنْ ألقتْ ثيابَ الرِّعشةِ الأولى

تعرَّتْ في الهواءِ الطَّلْقِ

عانقَها بياضٌ عاشقٌ

وأناملٌ منْ فضّةٍ كالصبحِ،

كم عمرٍ لها في عالَمِ الكلماتِ

قبلَ صعودِها وتراً يَرِنُّ

طليقةً جَذْلَى..

هنا تتشكَّلُ الأحلامُ

والمدنُ الطريّةُ في القصائدِ..

هلْ تشكَّلَتِ القصيدةْ؟

– 5 –

هطلتْ على الناسِ القصيدةُ

بعد صمتٍ باذخٍ،

خرجتْ إلى اللاّوقتِ،

أصبحَ وقتُها كلَّ النهارِ إذا أرادَ الناسُ

أو كلَّ المساءِ إذا أرادوا،

لكنّها اصطدمَتْ بأوّلِ قارئٍ

يشتاقُ قبلَ الشعرِ

للثوبِ النظيفْ

عبثاً تحاولُ أنْ تكونَ قصيدةً

في عالمٍ أعمى،

يجوعُ إلى رؤى المعنى

ويحلُمُ بالرغيفْ!

خطاب مفتوح

إلى أهلْ (داحس) و(الغبراء)

خطاب مفتوح
إلى أهلْ (داحس) و(الغبراء)

إنهم قومُ (داحسَ)

أجفانُهم كالمفازاتِ غبراءُ،

لا يشبهونَ البلادَ التي خرجوا

منْ محاجرِها..

يتواصونَ بالموتِ،

لا يتواصونَ بالحبِّ

حزني عليهم وهمْ حزنُ هذي البلادِ.

* * *

إلى أينَ يمضي بهم حقدُهمْ؟

وإلى أيِّ هاويةٍ يسرعونَ

بأوزارِهم؟

أيّها اللّيلُ لا تنجَلِ،

ارْتحلي يا نجومُ

فإنَّ البلادَ التي ذبحتْ أجملَ الثائرينَ

وأشجعَهم،

لنْ ترى الشّمسَ..

أبناؤُها فقأوا بغوايتِهم عينَ حكمتِها،

ومضوا يعبدونَ الظلامْ.

* * *

حينَ أذكرُهمْ

تتشظّى الرِّياحُ

وينسكبُ القلبُ حزناً

ويأكلُني خجلٌ لا قرارَ لهُ..

أيّها (الدّاحسيُّونَ)..

حينَ أرى الأرضَ أعشقُها

تبتليني بحبٍّ عظيمٍ،

وتغمرُني بالمسَرَّةِ

تملأُني نشوةً وحناناً،

وحينَ أراكمْ أخافُ،

ويسقطُ عنْ كلماتي الكلامْ.

تسع قصائد لإنسان آخر القرن

تسع قصائد لإنسان آخر القرن

- 1 -

أُمُّكَ الأرضُ لَمّا تزلْ

مثلَ عينيكَ

طازجةَ الشهواتِ،

ولم ينكشفْ سِرُّها بعدُ،

ماذا تخافُ؟

منَ الناسِ يعصمُكَ اللهُ

لكنَّ... منْ يعصمُ الناسَ منكَ

ومنْ شرِّ نفسِكَ،

منْ يعصمُ الوردَ منْ شرِّ عينيكَ

والضوءَ منْ ظلماتِ يديكْ.

آهِ لَهْفي على الناسِ منكَ

ولَهْفي عليـــكْ.

- 2 -

نازحٌ..

فيكَ عشرٌ منَ الموبقاتِ الثقيلةِ،

معذرةً.. لستُ أهجوكَ

أنتَ الذي بخطاياكَ تهجو الحياةَ

بأشجارِها

وبأحجارِها،

أنتَ منْ تشتكيكَ العصافيرُ

والبحرُ والنهرُ،

بل أنتَ مَنْ أعملَ الفأسَ

في روحِ معراجِهِ،

وتوعّدَ شرّاً بكلّ النبيّينَ

والأتقياءِ،

تحوّلَ أرجوحَةً في الهواءْ.

– 3 –

أنتَ تشبهني،

وأنا أُشبِهُ الآخرينْ،

كلُّنا منْ ترابٍ وماءٍ

أتينا منَ الأرضِ،

لا أحدٌ سوفَ يأخذُها معَهُ

سوفَ تأخذُنا معَها،

منْ قميصِ الفراغِ أتى ظِلُّنا

وسيمضي إلى قمقمِ الطينِ،

لا أحدٌ سوفَ يأوي إلى جبلٍ

أو زعيمٍ،

ولا عاصمٌ غيرُهُ..

العمائمُ كالقبّعاتِ

وفصلُ الخطابِ بما ترتديهِ

القلوبْ.

– 4 –

قليلٌ منَ الحزنِ يكفي

ليرتعشَ القلبُ،

بعضٌ منَ العشقِ يكفي

لترتعشَ العينُ،

شيءٌ منَ الخوفِ يكفي

لترتعشَ الساقُ..

يا صاحبي خشباً صارَ قلبُكَ،

عيناكَ منْ صَدَفٍ لا يرى

قدماكَ..

إذا شئتَ قلْ: حجرٌ

وإذا شئتَ قلْ: منهما يستعيذُ الحجرْ.

- 5 -

لستَ وحدَكَ

مَنْ يكتبُ الشعرَ في الأرضِ،

هذي الفراشةُ – يا صاحبي –

كتبتْ في فضاءِ الحقولِ

قصائدَها

رسمتْ أعذبَ الكلماتِ

على ورقِ الزعفرانِ،

وخطّتْ أصابعُها للجداولِ

أغنيةً لا تكفُّ عنِ الضوءِ..

هلْ تسمعُ الناياَ؟

هذا رنينُ الفراشاتِ

فضّةُ أشعارِها

وهديلُ مناديلِها النّاعسةْ.

- 6 -

خارجَ النصِّ تنشرُ روحَكَ

حتى التلاشي،

هلْ ترى في ارتعاشِ النهارِ إذا جاءَ،

في فضّةِ اللّيلِ غيرَ زناخةِ ذاتِكَ.

يا صاحبي

يا أنا،

ذاتُكَ الباطنيّةُ

لا ترتدي غيرَ جلبابِ وسواسِها،

لا ترى غيرَ نصفِ الشوارعِ

غيرَ غلافِ الحديقةِ..

فاخلعْ جلابيبَ عينيكَ

واهبطْ دهاليزَ قلبِكَ

منْ قبلِ أنْ يسقطَ الضوءُ

والأقحوانْ.

- 7 -

قد تكونُ المفاجأةُ البكْرُ

أنَّ القيامةَ – في عالَمِ الرُّوحِ –

قامتْ،

وصرنا نشاهدُ – عَبْرَ التصاويرِ–

أوصافَها،

ونرى جنّةَ اللهِ ناصعةً كالقصيدةِ،

لا مُدُنُ العصرِ باقيةٌ

لا.. ولا زبدُ الأبجديّاتِ باقٍ،

وأحصنةُ الغيمِ تضربُ أقدامَها

تتمايلُ،

تلهثُ خلفَ ظلالِ الحسدْ.

- 8 -

شظايا زجاجِ الحقيقةِ منهمرٌ

تحتَ أقدامِنا،

كيفَ يخفُتُ ومضُ الإشاراتِ

فينا على عجلٍ؟

كيفَ تهدأُ نارُ المواقيتِ؟

إنَّ بروقاً يمانيّةً تَتَنَزَّلُ مسرعةً

خلفَ أجفانِنا،

وطيوباً (سقطريّةَ) اللَّونِ

تسكبُ دهشتَها،

وتحومُ على ملعبِ الأرضِ..

لا أحدٌ يستجيبُ،

عيونُ اليمانينَ مطفأةٌ

وعيونُ البَرِيّةِ مطفأةٌ،

خرزُ اللَّيلِ

يا صاحبي

أطفأتْهُ العيونُ التي لا ترى

ما تراهُ القلوبْ.

– 9 –

لم تكنْ في المكانِ،

وإنْ كنتَ يا صاحبي

ممسكاً صولجانَ المكانْ.

لم تكنْ في الزّمانِ

وإنْ كنتَ يا صاحبي

ممسكاً صولجانَ الزّمانْ.

ما المكانُ الذي كنتَهُ

ما الزّمانْ؟

أنتَ لا شيءَ قبلَ المجيءِ

ولا شيءَ بعدَ الغيابِ،

لأنّكَ يا صاحبي حفنةٌ منْ دُخانْ.

خمس قصائد لعام 2002

خمس قصائد لعام 2002

- 1 -

لا يورقُ الكلامُ في كانونَ

جامدٌ ماءُ اللُّغاتِ،

هلْ يمنحني جليدُها أغنيةً

دافئةً للعامِ؟

يا نفسي..

اخرجي صافيةً منْ جِلْدِكِ الخائفِ

منْ دهاليزِ الشتاءِ،

انْسَكِبي في غيمةٍ شاردةٍ

وفي شفافيّةِ ضوءٍ دافئٍ تَحَدَّري،

وانسكبي في عشِّ عصفورِ

يحنُّ للدفءِ

غناؤُهُ يستعجلُ الرَّبيعَ،

يا نفسي.. تساءلي:

عامٌ مضى

وآخرٌ أتى،

لماذا يذهبُ العمرُ

ولا يجيءُ في ثيابِ الضوءِ

عمرٌ آخرٌ،

يستكملُ الرِّحلةَ في مخاضِ الأرضِ

لا هناكَ تحتَ سقفِ القبرِ

فوقَ رفرفِ النُّعوشِ الخالدةْ؟!

– 2 –

أيّها العامُ

معذرةً إنْ رفضْنا أخاكَ

وقد كانَ مثلَكَ

حينَ أطلَّ منَ الغيبِ ضوءاً جميلاً،

لهُ منْ مهابتِه

وشفافيّةِ الحُلْمِ

ما لَكَ في لحظةِ البدءِ..

ثمّ دنا،

وتدلّى،

وأدلى بأحداثِه،

بكتِ الأرضُ والناسُ،

واحترقتْ تحتَ وطأةِ أيّامِه

مدنٌ وقرى،

لم تعدْ حيثُ كانتْ تقومُ على الأرضِ

صارتْ شظايا،

اشتوى الرُّوحُ منْ فزعٍ..

كلُّ هذا الدُّخانِ الذي يتعالى

ويجرحُ وجهَ الفضاءِ،

لأجسادِ أطفالِنا

للصَّلاةِ التي تتكسَّرُ

فوقَ عظامِ المصلّينَ،

للأمّهاتِ اللّواتي

يُلَمْلِمْنَ أشلاءَ أكبادِهِنَّ منَ الأرضِ

والحافلاتْ.

– 3 –

لم يبقَ لي،

للكلماتِ الذّاهلاتِ

غيرُ حُمَّى تعتري أوصالَها،

تنهشُ في الحروفِ،

لم يعدْ في الأفْقِ منْ معنى

ولا كلامْ..

كيفَ تفتحُ القصائدُ الكبارُ عينيها

على رنينِ الموتِ والذُّبولِ؟

لم تعدْ سماؤُنا زرقاءَ مثلَما كانتْ،

وهذا الوطنُ الكبيرُ

لا ماءَ لهُ،

لا سورَ يحمي آخرَ السِّراجِ

في أهدابِهِ،

محاصَرٌ.. محاصرٌ

البحرُ فيهِ والصحراءُ

والفضاءُ،

لم يعدْ حارسُهُ العجوزُ يملكُ السيفَ

ولا المالَ

و(خاتمُ الاسمِ) اختفى عفريتُهُ

واحترقتْ طلاسمُ النجومِ الغامضةْ!

– 4 –

آهِ

وا أسفاهُ على العمرِ

عامٌ يجيءُ

وآخرُ يطوي تباريحَهُ الموجعاتِ

ويمضي إلى حيثُ لا ترجعُ السنواتُ..

تُرى..

هلْ تشاركُنا الأرضُ أحزانَنا

حينَ يسقطُ عامٌ منَ العمرِ؟

هلْ تشتكي؟

هلْ يفاجئُها مثلَنا الشيبُ

تسقطُ فوقَ الجبينِ

التجاعيدُ؟!

هلْ تُبْتَلى الأرضُ

بالأصدقاءِ الولوعينَ

بالنقشِ فوقَ الجراحِ

وبالصمتِ عندَ النوائبِ؟

هلْ في الشتاءاتِ

تخشى الصقيعَ

وتبكي على الوردِ حينَ يموتُ

على صدرِها؟

هلْ تحبُّ الغيومَ

وتعشقُ أمطارَها أمْ يلذُّ لها الصَّحْوُ؟

هلْ تكرهُ الحربَ

أمْ تستطيبُ غوايتَها القاتلةْ؟!

– 5 –

في غسقِ الزَّمانِ

تأوي الكلماتُ للمنفى

معصوبةَ العينينِ،

لا تضيءُ في عتمتِهِ سحابةُ الشعرِ،

ولا تومضُ غيمةُ الشّجا.

منْ أينَ لي قصيدةٌ

أهدي حروفَها للعامِ

ترتدي صمتي،

تمشي معي على رصيفِ اللهِ

بينَ البقعِ الحمراءِ،

في مخيّماتِ الجوعِ والقتلى

وصرخةِ اليتامى

وطنينِ الحربِ

واشتعالِ نارِها؟!

منْ أينَ لي بحرٌ،

وأوزانٌ،

وشطآنٌ،

وريحُ كانونَ تحاصرُ الوديانَ

والخلجانَ

واليمامْ؟!

خمس قصائد للصيف

خمس قصائد للصيف

-1-

أغمضَ حزنَهُ ونامْ.

أغمضتِ الشمسُ نهارَها ونامتْ

وأغمضَ الليلُ نجومَهُ ونامْ

أغمضتِ الجبالُ صمتَها

والبحرُ ماءَهُ

والحقلُ عشبَهُ ونامْ،

أغمضتِ المدينةُ الأسواقَ والبنوكَ

والمعتقلاتِ والمعسكراتْ،

أغمضتِ المُدَى ونامتْ!

- 2 -

أيتُها القصيدةُ

الملاكُ نامي!

لم يبقَ إلاّ حرفُكِ المضيءُ

لم ينمْ

ملءَ خطاهُ يصحو،

ملءَ هواهُ يصحو

يمشي على سمادِ الرُّوحِ ذاهلاً

يجسُّ ثديَ الأرضِ

ينقرُ الأبوابَ

ينحني تحتَ لهاثِ الكلماتِ

خلفَ سِدْرَةِ المعنى..

وكالشهيدِ لا يطيقُهُ النومُ

وهلْ ينامُ الضوءُ

والذّئابُ صاحيةْ؟!

- 3 -

لا شأنَ لي بهم

هذا الفراغُ صوتُهمْ

ووقتُهمْ

هذا المدى قبورُهم

ليسَ لهم ماءٌ

ولا غيمٌ ولا فضاءٌ..

خائفونَ عندَ أبوابِ النعاسِ

راكعونْ.

لا شأنَ لي بهم

نفيتُ عنهم لغتي

قصيدتي،

وجئتُ كالدَّمِ المطلولِ

باحثاً خلفَ تخومِ الأرضِ

عنْ وجهي،

عنْ وجهِ أمّتي المثقلِ بالغبارِ،

جئتُ عاشقاً يلامسُ الترابَ

يُغدِقُ الحُبَّ على العصافيرِ

ويبني بالكلامِ أعشاشاً

ويمسحُ الأيّامَ بالمِلْحِ

وبالدُّموعِ الساطعةْ.

- 4 -

لا ضوءَ فوقَ الكلماتِ

لا ظلالَ تحتَها،

أجفَلَ منْ يباسِها الوقتُ

تلعثمَ النّدى

لم يبقَ إلاّ القحطُ والسرابْ،

هذا الذي يحسبُهُ الخائفُ إنساناً

فيحني قلبَهُ،

حتى إذا أدركَهُ

عضَّ أصابعَ الرّملِ

بكى منَ الخيبةِ

ألقى عامداً بقايا وردةٍ في كَفّهِ

اشتوى

وذرفتْ منْ قلبِهِ الطعينِ وردتانِ..

هذا دمُهُ على قميصِ الأرضِ

عالقاً على موائدِ القبائلِ الكبرى،

وصوتُهُ المثلومُ مرسومٌ

على مناديلِ الرِّياحِ الشّاحبَةْ.

- 5 -

بهيّةً كانتْ بيوتُنا،

بهيّةً كانتْ قبورُنا،

بهيّةً أرواحُنا،

كالضوءِ كانَ الشعرُ،

كالحدائقِ المعلّقاتِ كانَ حبُّنا.

يا قمرَ العشيّةِ البعيدَ

يا بقايا الضوءِ في الدِّماءْ

ويا نجومَ الشّاردينَ في أقاصي الأرضِ،

عادتِ النّذورُ لم تُقْبَلْ

وعادَ القحطُ،

صارَ الصيفُ عاقراً

والنخلُ عاقراً..

لا ماءَ في فضاءِ الرُّوحِ

لا شَجَرْ،

العتمةُ استولتْ على الأجسادِ

والبلادِ،

نامَ الغيمُ في ثيابِهِ،

ونامَ عنْ أوقاتِهِ المطرْ.

ثلاث قصائد للشعر

ثلاث قصائد للشعر

1- سؤال:

ينحني القلبُ للشعرِ

للكلماتِ البهيّةِ

منْ شرفةِ الله تأتي المعاني

على قَدْرِ أوجاعِنا،

تَتَنَزَّلُ ساخنةً

فيهيمُ بها الشعراءُ

وتخطفُها في البراري

أصابعُهم،

فتذوبُ اشتياقاً إلى اللهِ

والشعرِ،

تنهضُ فيها عناقيدُ أحزانِنا

واللُّغاتُ الدَّفيئةُ ماءً لمعراجِ أرواحِنا

وندىً،

ومواقيتَ خضراءَ..

يا بشراً لا قلوبَ لهم..

كيفَ ينسكبُ الضوءُ؟

منْ أيِّ منعرجٍ يدخلُ الحُلْمُ،

أو نافذةْ؟

2- انتظار:

صاحبي شاعرٌ

يتصيّدُهُ البحرُ كلَّ صباحٍ،

ويتركُهُ شاردَ الرُّوحِ

يستوقدُ الصمتَ

يستنطقُ الكائناتِ

بعينينِ في صدرِهِ نصفِ مغمضتينِ

انتظاراً لها،

للقصيدةِ ساعةَ تهبطُ منْ عَرْشِها

تستحمُّ فيصرعُها البحرُ

يلقي بها المدُّ عاريةً بينَ كفّيهِ..

لكنّه – صاحبي –

يتلقّفُها بذراعينِ

لا يخشيانِ منَ الجمرِ،

لا يرهبانِ اشتعالاتِها..

وَهْوَ في غالبِ الوقتِ،

يرجعُ منكسرَ الرُّوحِ

خاليةً منْ ندى الكلماتِ

أصابعُهُ،

تتأبّطُ خيبتُهُ سمكاً ميّتاً

وَمَحاراً..

وشيءٌ منَ الملحِ في روحِهِ

وعلى شفتيهْ.

3- القصيدة:

إنها تمطرُ الآنَ

كلُّ الشوارعِ خاليةٌ

والحدائقُ،

لا أحدٌ..

الطيورُ الأليفةُ عادتْ لأعشاشِها

وظلالٌ منَ الضوءِ شاحبةٌ

كبقايا القناديلِ

تدخلُ عبرَ أثيرِ النوافذِ،

هسهسةُ الماءِ تحتَ المزاريبِ

لا همسةٌ في الفضاءِ،

كأنَّ الخليقةَ غائبةٌ

أو طواها الكَرَى،

فجأةً يهطلُ الضوءُ

تخرجُ منْ خِدْرِها الشمسُ

مبتلَّةً بالمعاني جدائلُها،

وهناكَ يرى القلبُ ما يشتهيهِ

يرى في ارتعاشِ الندى

والحصى

زمناً مورقاً بالقصيدةْ.

معزوفة (غرناطيّة)

إلى أمجد ناصر و(غرناطة) البعيدة القريبة

معزوفة (غرناطيّة)

إلى امجد ناصر و(غرناطة) البعيدة القريبة

جادَكَ الغيثُ يا شِعْرُ

تحتَ الثرى غيمةٌ

وعلى الأفْقِ قَبْرٌ،

و(غرناطةُ) الحُلْمِ

تنأى

وتومئُ لي أنْ تعالَ

تعالَ

تعالَ..

اعطني حجراً لأنامَ عليهِ،

اعطني نسخةً منْ مفاتيحِ جَدّي،

ودعْ حُلُمي يتلذَّذُ

يغرقُ في خضرةِ الأمسِ،

دعْ لغتي تتماهى بأصداءِ أغنيةٍ

ما تزالُ تَرِنُّ

وتجلسُ بي فوقَ جدرانِها الذّاويةْ.

* * *

جادَكَ الحزنُ

يا شعرُ لي منكَ ما يشتهي الطفلُ

– ضَيَّعَ في لحظةٍ أمَّهُ –

منْ حنانٍ وسلوى

وما يشتهي منْ حكايا

تهدهدُ أشجانَهُ،

لا تقلْ: إنَّ عصرَ الزَّوالِ استوى

والفناءاتِ تدنو،

وإنَّ قصائدَنا أثرٌ منْ رمادِ الدُّمُوعِ،

وإنَّ رياحاً خريفيّةً

لزمانٍ قديمٍ تطاردُ أحلامَنا

ثمَّ تصطادُ أرواحَنا الذّابلةْ.

* * *

جادَكَ الماءُ يا عطشَ الرُّوحِ

كيفَ تغيبُ مسالكُنا

والوجوهُ،

وتهجرُنا في السرابِ مواعيدُنا؟

كيفَ تنسى القناديلُ

رَجْعَ أحاديثِنا؟

بينَ (وادي العَرِيفِ)

و(صنعاءَ)؟

بينَ القلاعِ النَّبيلةِ – وا لَهْفتا –

لغةٌ ووشائجُ قُربى،

هنا في البراري الطويلةِ

كانَ لنا مَنْزِلٌ

وخيولٌ،

وما تشتهي العينُ منْ شُرُفاتٍ،

وما تبتغي الرُّوحُ منْ خمرةٍ،

منْ ترابٍ هوَ المسكُ

منْ طرقٍ تتلألأُ

تركضُ لا تعرفُ الانطفاءَ..

وعطرُ الندى

في المساءاتِ كانَ الدَّليلْ.

* * *

جادَكَ الشعرُ ما برحتْ غيمةٌ

تتقدّمُ صوبَ الجنوبِ

محمّلةً بالهدايا الطريّةِ،

هاربةً منْ دخانِ السّجائرِ

باحثةً عنْ بقايا نقوشٍ على جسدٍ فاتنٍ،

ومقاهٍ تعطّرُها عشبةُ (القاتِ)..

هلْ يتغيّرُ خطُّ الزّوالِ

وخطُّ الحضاراتِ؟

منْ ربوةٍ في الفضاءِ معلّقةٍ

ترشحُ الأغنياتُ القديمةُ

والأحرفُ العربيّةُ

يومضُ خلفَ القرى شجنٌ للرُّخامْ.

* * *

وطناً كانَ

ذاكَ الذي نسجتْهُ بأهدابِها

الأمّهاتُ الحزيناتُ

أمْ كانَ منفىً؟

وأغنيةً كانَ أمْ خنجراً؟

والخيولُ التي أورقَ الرَّملُ تحتَ حوافرِها

أينَ تختبئُ الآنَ؟

في أيِّ وادٍ توارى الصَّهيلُ؟

وفي أيِّ مئذنةٍ يتخفَّى الأذانُ؟

ولا غالبَ اليومَ

مَنْ كانَ يغلبُ بالأمسِ

لا مرتقى،

جلسَ اليأسُ في عرشِهِ

واستوى

آهِ لا غالبَ اليومَ إلاّ الكلامْ.

* * *

آهِ (غرناطةُ) اقتربي

تحتَ سربٍ منَ الذّكرياتِ أطيرُ إليكِ

يشدُّ خطايَ التعيسةَ

صوتُ بكاءٍ قديمٍ لأهلْي

وصوتُ أنينٍ على المتوسِّطِ

لا يستقرُّ على مَرْفَأٍ..

هلْ تنامينَ مذْ رحلَ القاطنونَ

وصاروا طرائدَ للحقدِ؟

كيفَ ترينَ الصَّباحاتِ

وَهْيَ تطلُّ مبلَّلَةً

بدمِ الشجنِ (المأربيِّ)؟

وماذا تقولُ القناديلُ؟

هلْ ما تزالُ تبوحُ بأسرارِنا

للقلاعِ الجديدةِ

تحكي معَ الزَّفَراتِ العميقةِ

أسماءَنا

وحكاياتِ ماضٍ أصيلْ؟!

* * *

على كَتِفِ الذّكرياتِ

يعيشُ الأسيرُ المطارَدُ،

مَنْ (تصطفيهِ التباريحُ)

كلُّ السُّهادِ لهُ ولهُ اللّيلُ،

كلُّ الحجارةِ لا الماسِ،

كلُّ الغبارِ

وكلُّ الغروبِ

وكلُّ الحنينِ..

ولا شأنَ للرِّيحِ

لا شأنَ للسفنِ الآيباتِ

ولا شأنَ للبحرِ.

يا أيّها العائدونَ أفيقوا

فقد طالَ عهدُ الحنينِ

لِـ(غرناطةِ) الحُلْمِ

مرّتْ دهورٌ منَ الزّفراتِ،

عصورٌ منَ الانتظارِ الطويلِ

الطويلْ.

ما تيسّر من رعشة الخوف

إلى روح الشهيد الصديق جار الله عمر

ما تيسَّر من رعشة الخوف

إلى روح الشهيد الصديق جار الله عمر

- 1 -

صاحبي

لم أجئْ لوداعِكَ

ما جئتُ - والدمعُ في العينِ مشتعلاً -

للبكاءِ عليكَ،

ولكنني جئتُ يا صاحبي

لأهنّيكَ.. إذْ أنتَ بالموتِ عشتَ

اخْتَزَلْتَ زمانَ الرَّمادِ

وحقّقتَ معجزةَ الخالدينْ.

– 2 –

حينَ حطَّ الرَّصاصُ على القلبِ

واستقبلتْكَ ملائكةُ اللهِ

واستيقظَتْ منْ سباتِ المنيّةِ

عيناكَ،

قمتَ

وقامتْ قيامةُ أعدائكَ الأغبياءِ،

استقامَ اختيارُكَ

واكتملَتْ بالشهادةِ رؤياكَ

أورقَ في دمِكَ الحبُّ

وانكسرتْ موجةٌ

في دمِ الحاقدينْ.

– 3 –

كانَ أكثرَنا ثقةً بالبلادِ

وبالناسِ،

أكثرَنا خبرةً بفصولِ السياسةِ

يدري بأنّ الرِّياحَ تهبُّ

لكي تكنسَ الورقَ المتساقطَ

في الرُّدُهاتِ

وفوقَ المكاتبِ،

أنّ الخصومَ رجالٌ

وليسوا ذئاباً

تحرِّكُهم شهوةُ القتلِ

والكُرْهُ للآخرينْ.

- 4 -

انتظرناكَ..

كانَ الصباحُ جميلاً

وكانَ الندى يتشكّلُ فوقَ الجبالِ

عقوداً منَ اللُّؤلؤِ المرمريِّ،

وردُ المقيلِ يداعبُ خدَّ الظهيرةِ،

والشمسُ في أوجِ زينتِها..

فجأةً يغمضُ الضوءُ أجفانَهُ

يهبطُ الانطفاءُ قليلاً

قليلاً،

وتنشجُ حنجرةٌ بالبيانِ الحزينْ.

– 5 –

حينَ قالوا: رحلْتَ عنِ الأرضِ

أمسكْتُ منْ هلْعي بالفراغِ،

ظننتُ الفراغَ أخي

والدُّخانَ زميلي،

وصلَّيتُ حتى أتى النومُ

كيما أراكَ، وأسمعَ صوتَكَ..

أقرأُ – في غفوتي –

ما تيسَّرَ منْ رعشةِ الخوفِ

أغسلُ دمعي برائحةِ الياسمينْ.

- 6 -

هلْ رأيتم جبالاً تموتُ

سماءً تغورُ إلى قاعِها

وفضاءً يضيقُ بألوانِه

وسحاباتِه

وقناديلِه،

وحقولاً تغادرُ وديانَها

وفراشاتِها؟

هلْ رأيتم نهارَ اكتوى صاحبي

بالرَّصاصِ،

وفي دمِهِ

كانَ حُلْمُ البلاد

– ولا عاصمَ اليومَ –

كنّا جميعاً منَ المغرقينْ؟!

– 7 –

منْ تُرى قتلَ الوردَ

أزهقَ روحَ الحدائقِ

أفقى بموتِ الينابيعِ؟

منْ فتحَ الظلماتِ بنارِ مسدَّسِهِ

وأعادَ ارتعاشَ الظنونِ

وخيطَ الوساوسِ؟

منْ أيقظَ الإثمَ

واجترحَ الصمتَ والدَّمَ

في ساحةِ الكلماتِ؟

ومنْ أرهبَ الضوءَ والسُّنْبُلاتِ..

أحلَّ دمَ المؤمنينْ؟

- 8 -

ذاتَ يومٍ

حلمْتَ بنهرٍ

إذا لمستْهُ الأصابعُ

أو شربتْ ماءَهُ أعينُ الحاقدينَ

استعادتْ براءتَها

ونقاءَ سريرتِها..

أينَ نحنُ منَ النهرِ؟

في أيِّ قلبٍ

أخبّئُ أحلامَكَ المورقاتِ

وأكشفُ عنْ ظمئي،

وعلى الأرضِ (قابيلُ)

يقتلُنا،

ويطاردُ أرواحَنا

بامتدادِ الزَّمانِ اللّعينْ؟

- 9 -

آهِ يا صاحبي

لم أجئْ لوداعِكَ

أو لمديحِ خصالِكَ،

لكنني جئتُ أبكي المحبّةَ

والشعرَ..

لَمّا رحلْتَ تخثَّرَتِ الكلماتُ،

تبدَّلَ ماءُ الحروفِ

وفاضَ دماً،

وكعادتِهِ - حينَ يحزنُ -

أخفى انكساراتِهِ الشعرُ

وارى عيونَ قصائدِهِ،

في جفونِ الملائكةِ النائحينْ!

ثلاث قصائد

ثلاث قصائد

1- امتنان:

شكراً

لأنَّ الصبحَ يمنحُنا التفاؤلَ

في غدٍ أحلى،

وأنَّ الضوءَ يمنحُنا الأمانْ،

شكراً

لأنَّ الشمسَ تغسلُنا

وتمسحُ عنْ وجوهِ الناسِ

أعشابَ الكآبةِ

والهوانْ،

شكراً

لأنَّ اليومَ يمضي

دونَ أنْ تبكي حجارتُهُ

ويلفظَنا الزَّمانْ.

شكراً

لأنَّ الحقدَ يشوي نفسَهُ

في موقدِ الكلماتِ،

يهبطُ في سراديبٍ معتّقَةِ الدِّنانْ،

شكراً

لأنَّ الفجرَ يخرجُ منْ سماءِ اللهِ

لا يأتي بأمرٍ منْ مليكٍ

أو رئيسٍ،

لا.. ولا يخشى عيونَ الصولجانْ.

شكراً

لأنَّ الحبَّ هذا الرّائعَ الولهانَ

يهطلُ منْ فضاءٍ غامضٍ

وتطلُّ إشراقاتُهُ

منْ لا مكانْ.

شكراً

لأنَّ اللّيلَ عنْ غدِنا يُوارينا

يمدُّ عباءةً سوداءَ فوقَ الأرضِ

نازفةَ الدُّخانْ.

شكراً

لأنَّ الموتَ يدعونا إلى مثواهُ

يحملُنا على أكتافِهِ الخضراءِ

في غيمِ الحنانْ.

شكراً

لأنَّ الرَّبَّ يدركُ ما تخبِّئُهُ الموائدُ

والجرائدُ

ما يخبِّئُهُ اللّسانْ.

2- شتائيّة:

تفيضُ الشوارعُ بالخوفِ

والبَرْدِ

بالأنقياءِ،

وبالأغبياءِ

وبالكلماتِ التي هجرتْها المعاني،

بماءِ الإشاراتِ خضراءَ

صفراءَ، حَمْرا...

إلى أينَ يمضي بكَ الحزنُ

ما زال بينكَ والصَّيفِ

عمرٌ مديدٌ منَ الخوفِ

عمرٌ منَ الكَمَدِ الذهبيِّ؟

الحدائقُ موصدةٌ

والقلوبُ

تلاوينُ شاردةٌ للغيومِ الخجولةِ،

لا تسمحُ الأرضُ أنْ يحتويها الهطولْ.

وتفيضُ الشوارعُ بالجوعِ

والقاطراتِ،

برائحةٍ مُرَّةٍ

ووجوهٍ تفتِّشُ عنْ ظلِّها في الترابِ،

وعنْ جَرَسٍ عالقٍ بالفضاءِ

وعنْ فتيةٍ أشعلوا شمعةً في الهواءِ،

وعنْ شارعٍ نائمٍ لا يرانا.

3- سؤال:

ثَمَّةَ مَنْ يصعدُ معراجَ اللَّيلِ

إلى شمسٍ ساطعةٍ،

مَنْ يكتبُ أغنيةً

في مدحِ الضوءِ الذّابلِ،

مَنْ يشعلُ صمتَ أصابعِهِ

ويغني للقتلى فوقَ الإسفلتِ،

ثَمَّةَ منْ يهبطُ،

يتوارى..

يعزف أغنيةً للموتى

يتلو أذكارَ العتمةِ منفرداً..

ما بينَ الصّاعدِ والهابطْ

تقفُ الأرضُ على رجليها

ضاحكةً حيناً

باكيـــةً حيناً،

فمتى يورقُ جسدي

أجنحةً

ليطيرَ بعيداً عنْ زَبَدِ السطحِ

وصمتِ القاعْ؟!

الغياب في ملكوت الكلمات

إلى نزار قباني

الغياب في ملكوت الكلمات

إلى نـزار قبـاني

– 1 –

منذُ عامٍ

وأنتَ تهيِّئُ روحَكَ للعرسِ

للموتِ،

تخرجُ منْ غرفةٍ للحياةِ

إلى غرفةٍ للوفاةِ،

ويهطلُ كالمطرِ الموتُ

تشربُ منْ مائِهِ

وتغادرُنا..

يتعبُ الجسدُ المتهالكُ

لا الرُّوحُ

تنكسرُ الشَّمعداناتُ لا الضوءُ،

يا صاحبي أنتَ في النعشِ

أجملُ منكَ على العرشِ،

في جنّةِ اللهِ

في ملكوتِ المحبّةِ

في صلواتِ الندى.

أنتَ أجملُ يا صاحبي

منْ جميعِ البشرْ.

– 2 –

تتعرَّى الرُّوحُ

والقلبُ

ويغدو الجسدُ المورقُ

شفّافاً أمامَ الموتِ..

لا تسألُني..

أينَ اختفى الشعرُ

ولا أينَ انطوتْ ذاكرةٌ مترعةٌ

بالشوقِ،

أينَ الجسدُ المورقُ

يا شاعرَ أهلْ العشقِ،

أينَ الكلماتُ الباذخاتُ الضوءِ،

أينَ الفتنةُ السّمراءُ

والشقراءُ،

أينَ الألقُ الصاعدُ منْ ديوانِ شعرٍ

حالمٍ كالغيمِ

شفّافٍ كأوراقِ النجومْ؟

– 3 –

منَ الشعرِ جئتَ..

إلى الشعرِ تمضي،

كأنَّكَ في ملكوتِ الكلامِ الجميلِ

نشأتَ،

وفي ملكوتُ الكلامِ تموتُ،

كأنَّ الكلامَ رفيقُكَ

والمفرداتُ غطاءُ السريرِ الذي يحتويكَ

غطاءُ المكانِ الذي يتحدّاكَ

فاصعدْ أخيراً إلى سدرةِ المنتهى

والتقطْ ما تشاءُ

منَ المفرداتِ الطّريّةِ

والهمساتِ النّديّةِ،

واكتبْ كما شئتَ

باسمِ الهوى والعدالةِ،

باسمِ النجومِ التي لا نراها

وباسمِ الزَّمانِ الذي عشتَ تحلمُ

حتى تراهْ.

– 4 –

يا صحابَ الأمسِ

لا تقتربوا منْ بابِهِ،

ما زالَ مفتوناً بما يغشاهُ

في عالمِهِ العلويِّ منْ فاكهةِ الضوءِ،

وفي مثواهُ يستقبلُ أزواجاً

وأفواجاً منَ الحُورِ

منَ الأصحابِ..

لا تقتربوا ما زالَ ظمآنَ

إلى صبحٍ بريءِ الضوءِ

عذبِ الشمسِ

في حفلٍ منَ الأملاكِ

في فيضٍ منَ الدَّهشةِ والنَّشوةِ،

مهلاً..

إنّه ما زالَ مغموراً بوَهْجِ الحُلْمِ

مشتاقاً إلى الخُلْدِ المقيمْ.

– 5 –

حزنهُ باذخٌ

ورصينٌ

إذا ما ارتداهُ توهّجَتِ الكلماتُ

وأورقَ ضوءُ الفصولِ بعينيهِ،

وامتدَّ جسرٌ

منَ الحكمةِ المتألّقةِ الصوتِ

في ليلِ أشجانِهِ..

هلْ هوَ الحزنُ

مَنْ أوجدَ الماءَ في الكلماتِ

وأرخى جدائلَهُ فوقَ جرحِ السنينْ،

أمْ هوَ العشقُ؟

يا شاعرَ الكلماتِ اللّذيذةِ

هلْ تكتبُ الآنَ للحُوْرِ

أغنيةً،

أم تداعبُ نارَ الطبيعةِ

في جنّةِ اللهِ،

حيثُ الأمانُ منَ النفسِ

حيثُ الأمانُ منَ الآخرينْ؟!

– 6 –

يتحدّى الشّمسَ بالشّمسِ

ويغري النارَ بالنارِ،

ويمضي في دروبِ العشقِ

مختالاً،

ولا أثوابَ إلاّ الكلماتِ الخضرَ

لا سلطانَ إلاّ صولجانَ الحبِّ،

منْ يقطفُ ألحانَ الهوى

بعدَ غيابِ الفارسِ المفتونِ

بالدّنيا

وبالترحالِ؟

منْ يُصغي لحزنِ الأرضِ؟

لا أحلامَ بعدَ اليومِ

لا أسفارَ بعدَ اليومِ

لا أشعارَ تُغري الرُّوحَ.. يا خضرَ الغيومْ.

– 7 –

هلْ قتلناكَ يا آخرَ الشعراءِ العظامْ،

أم هوَ الخوفُ يقتلُ أيّامَنا

وقصائدَنا،

فتموتُ الأغاني الجميلةُ

في القلبِ

تصدأُ أرواحُنا في الصدورِ

ونتركُهم،

نتركُ الشعراءَ يموتونَ في غربةٍ

لا أنيسَ بها.

وحدَهُ الخوفُ

يسلبُ إحساسَنا بالجمالِ

وإحساسَنا بالحياةِ،

يصادرُ أحلامَنا وفضائلَنا،

ويكوِّرُ في كفنٍ قاتمٍ

كلَّ معنىً عظيمْ.

- 8 -

قلْ أتى الموتُ

وجاءَ الفرحُ الخالدُ

لا أحزانَ

لا أوجاعَ،

نامي يا عظامَ الخوفِ

في صدرٍ حنونْ..

هلْ عرفتِ القبرَ منْ قبلُ؟

وهلْ سافرْتَ في الأكفانِ؟

منْ يقرأُ للسلطانِ أشواقي إلى الموتِ

ومنْ يُنْبِئُهُ أني حزينْ؟

حينَ لا يحملُني الموتُ بعيداً عنهُ،

عنْ (أزلامِهِ)

عنْ (جُوقةِ) الإفكِ الأثيمْ.

إجـهـــاش

إلى احمد طربوش.. الفارس الذي قتله الكمد

إجهـــاش

إلى أحمد طربوش.. الفارس الذي قتله الكمد

بكى صاحبي

أجهشتْ روحُهُ

وطوى ورقَ العمرِ مستعجلاً

ودفاترَ عشقٍ قديمْ.

* * *

بكى،

كانَ يضحكُ ملءَ يديهِ

وعينيهِ،

يمشي على عَجلٍ،

في ثيابٍ منَ الكبرياءِ الرَّصينةِ

والصدقِ،

كانتْ أغانيهِ خضراءَ

في لونِ سيّدةٍ كانَ يعشقُها

(هيَ كلُّ البلادْ).

* * *

بكى وانطوى

وعلى شفتيهِ نداءٌ إليها

لمعشوقةِ الرُّوحِ..

سيدتي:

لا أخافُ التآكلَ منْ خارجِ السُّورِ

منْ خارجِ الجِلْدِ

أخشى التآكلَ منْ داخلِ الرُّوحِ

منْ داخلِ القلبِ،

أخشى إذا ما أتينا

لنحصيَ أرباحَنا

ليسَ إلاّ الحصى..

ليسَ إلاّ الغبارْ.

إلـى أصدقـائي الذيـن رحلـوا عـام 1997م

إلى أصدقائي الذين رحلوا عام 1997م

فاتحة

يرحلونَ..

وتبقى روائحُهم

ومواقفُهم حيّةً

ومعلّقةً في فضاءِ القلوبْ،

في الشروقِ

تراهم إذا شعشعَ الضوءُ

تلمحُ أحزانَهم في جدارِ الغروبْ.

بعضُهم يترجَّلُ في أوّلِ العمرِ

والآخرونَ يضيئونَ بالعمرِ

حتى يذوبْ.

إنهم يسمعونَ حشرجاتِ موتهم :

هلْ كانَ وحدَهُ

يعرفُ أنَّ اللهَ سوفَ يستدعيهِ

في وقتٍ مبكّرٍ

أنَّ كتابَ العمرِ ناقصٌ

وأنَّ أوراقَ الحياةِ

قاربتْ على النَّفادْ.

ووحدَهُ الذي كانَ يرى أحلامَهُ الغرقى

فلا يئنُّ

أو يصرخُ،

وجهُهُ يطوفُ في فضاءِ اللهِ،

لا يكادُ يدركُ النَّزيفَ المرَّ

في الفؤادْ.

إلى الذي يأتي ولا يأتي:

ا أيّها الموتُ

الذي يأتي ولا يأتي

إلى حديقةِ العمرِ

فَيَنْقَضُّ على الوردِ،

وليتَهُ يأتي إذا ما استنجدَتْ

حدائقُ الشتاءِ منْ شيخوخَةِ اللّيلِ

ومنْ ثلوجِ العمرِ

منْ رطوبةِ الرُّخامْ.

يا أيّها الموتُ

الذي يأتي إذا تساقطَ الندى

ولا يأتي إذا تساقطَ الملحُ على صدرٍ

تهشَّمَتْ جدرانُهُ

واتسعتْ جراحُهُ

وضَلّ في الزِّحامْ.

لـــــؤلـــــؤة

(لؤلؤة) قرية صغيرة بالقرب من صنعاء
تشرف على واد أخضر أخفته الجبال عن العيون
وجعلت منه حديقة معلقة بين السماء والأرض

لـــــــــؤلـــــــــؤة

(لؤلؤة) قرية صغيرة بالقرب من صنعاء
تشرف على واد أخضر أخفته الجبال عن العيون
وجعلت منه حديقة معلقة بين السماء والأرض

أقريةٌ

أمْ إنّها قصيدةٌ قد هبطَتْ للتوِّ

منْ حدائقِ الإلهْ.

أحجارُها نقيّةُ الضوءِ،

نوافذُ البيوتِ فيها تشبهُ الشّفاهْ؟

* * *

لم تعدِ المرايا في مدينةِ اللّيلِ

ترائي..

أينَ يا سيّديَ أرى وجهي

أرى روحي؟

تشيرُ لي سيّدةُ الوقتِ:

هناكَ خلفَ هذا الجبلِ المقيمِ

في ظلالِ مَنْزلٍ تكوَّرَ الزَّمانُ حولَهُ

وجلسَ الأسلافُ

يشعلونَ نيرانَ الحديثِ

في مواقدِ الذّكرى،

ويرحلونَ في حنينٍ

طافحٍ بالغيمِ

والأسرارْ.

* * *

(لؤلؤةٌ) هذا اسْمُها الصاعدُ

كالوميضِ،

تعتلي الصخورَ

تعتلي الصخورَ

مثلَ نسرٍ جاثمٍ يهمُّ بالإقلاعِ

مثلَ شرفةٍ حالمةٍ

تنهضُ فوقَ سقفِ الكوكبِ

الأرضيِّ..

إنّها (لؤلؤةٌ)

كما هوَ اسمُها المكتوبُ

في فضاءٍ كالرُّخامِ مبلولِ الهواءِ،

تفتحُ الأرضُ شبابيكَ حقولِها

لأقواسٍ منَ الشمسِ

وقطعانٍ منَ الماعزِ والأبقارِ،

تتقي اندلاعَ الضوءِ

بالمناديلِ التي تنشرُها الأعشابُ

والصّبايا..

كشجرِ الحقولِ قربَ النَّبعِ

حيثُ يضحكُ الماءُ

إذا التقى بالعطرِ

والجِرارْ.

* * *

أقريةٌ هذي التي أرى

أمْ إنّها قصيدةٌ تَهبطُ للتوِّ

على أناملِ الإلهْ.

أحجارُها نقيّةُ الضوءِ

نوافذُ البيوتِ أمْ شفاهْ؟

* * *

صامتةٌ عيونُ الناسِ

إلاّ منْ ظلالِ بسمةٍ شفيفةٍ

ترسمُ في طريقِ كلّ قادمٍ

تحيّةً صامتةَ الحروفِ

كالندى

تقولُ في براءةٍ:

لا يورقُ الكلامُ في دروبِ هذا المرجِ

مفرداتُ اللُّغةِ السَّكْرَى

تدوخُ في توهُّجِ الضوءِ

وفي تفتُّحِ العطرِ

وفي غيبوبةِ الظِّلالْ.

وحينَ تسكنُ الرُّوحُ

ويهدأُ الصدرُ

على صخورِ القريةِ الملساءِ

كالقطنِ،

يرى القلبُ على حوائطِ البيوتِ

موسيقى وأغنياتٍ

جرَّحَ الزَّمانُ صوتَها

المائلَ للبكاءْ.

* * *

سيّدةَ الوقتِ سلاماً

لم تكنْ هذي التي أراها قريةً

وإنما أنثى منَ الأحجارْ.

ولم يكنْ ذاكَ الذي رأيتُهُ حقلاً

ولا حديقةً

بل كانَ مرآةً منَ الرملِ

رأتْ روحي بها وجهي،

بلا تجاعيدَ

بلا أوزارْ.

ميراث مبتل بالدم والهذيان

ميراث مبتلّ بالدَّم والهذيان

منْ قبلِ أنْ يرسمَ ظلَّهُ

على أديمِ الأرضِ،

قبلِ أنْ يصيرَ سيّدَ الأشياءِ

في الزَّمانِ

سيّدَ الأشياءِ في المكانِ،

كانَ شجراً،

وكانَ طيراً مورقاً

مستأنساً بالبحرِ

والفضاءْ

قبلَ مجيئِهِ كانتْ نوافذُ السماءِ

صفحةً موصدةً

ولم يكنْ هناكَ عسلٌ ولا لوزٌ،

وكانتِ الأيّامُ غُفْلاً

والأسابيعُ بلا أسماءْ.

هلْ يستعيدُ وجهَهُ القديمَ

صوتَهُ القديمَ؟

حينَ يختلي لحزنِه

ويخلعُ الضلوعَ خارجاً منْ جلدِه

وشكلِه،

ساعةَ يرتدي أحزانَهُ

يفرُّ منْ أعضائِه

مستنجداً بما في الحرفِ

منْ ظلٍّ ومنْ ضياءْ؟

* * *

أيَّ ملاكٍ كانَ؟

أيَّ عشبٍ كانْ؟

تمضي به فصولُ الوقتِ

لا يدري..

أأطلعَ الربيعُ الياسمينَ

أم أتى الشتاءُ نازلاً

منْ ورقِ الخريفْ؟

ها هوَ ذا يطلقُ جسمَهُ

في زحمةٍ منَ الإشاراتِ

وفوقَ ضوءٍ يابسٍ،

ها هوَ ذا يقلّبُ الرُّوحَ

على جمرٍ منَ الخوفِ

وشهوةٍ أصْلَدَ منْ صخرٍ

بلا أجفانْ.

* * *

حينَ أتى إلى الأرضِ وحيداً

موثقَ الأعضاءِ

مطلقَ الحواسِ،

كانَ جسداً ممغنطاً

وموصولاً بكلّ ما على الأرضِ،

ولم تكنْ فاحشةُ الخوفِ

التي يرفضُها

قد خرجتْ منْ غارِها،

لم تكنِ المدائنُ

المصقولةُ الوجوهِ

قد أتتْ،

وكانتِ اللُّغاتُ بيضاءَ

ولا تضاريسَ لها،

كانَ الطريقُ ناعماً..

ولا أقدامَ للإنسانِ غيرُ قدميهِ،

والفضاءُ كانَ للطيورِ

وأديمُ الأرضِ للنَّباتِ والأحياءْ،

وكانَ ضوءُ الشّمسِ لا يُحَدُّ

والنجومُ تملأُ السَّماءَ فرحاً

وألقاً،

وتزرعُ اللَّيلَ غناءً صافياً كالصبحِ

رقصاً عارياً كالحُلْمِ..

والآنَ انطوى،

توارى خلفَ وَهْمِ الآنْ.

* * *

هلْ يستطيعُ البحرُ

أنْ يعيدَهُ ليومِهِ الصِّفْرِ،

للحظةٍ خاليةٍ منَ الأوراقِ

والتقاويمِ؟

وهلْ يملكُ هذا الجسدُ العاثرُ

أنْ يطيرَ خارجَ العظامِ

خارجَ اللُّغاتِ،

يتّقي دخانَ القاطراتِ؟

هلْ...؟

ولم يعدْ يرى شيئاً ولا يريدُ،

احتشدَتْ منْ حولِهِ الخرائطُ السُّودُ

الأفاعي السُّودُ

صارَ رَقَماً في حفلةٍ تنكُّريّةٍ

للرُّوحِ

والأبدانْ.

صعـود القصيـــدة

صعود القصيـــــــدة

منْ أيِّ ضلعٍ في دمِ الإنسانِ

تنشقُّ القصيدةْ؟

وبأيِّ شمسٍ يكتبونَ ظلالَها

ويداعبونَ جوادَها الفضِّيَّ

وَهْوَ يطيرُ

يركضُ نازفاً

كي يقبضَ الشمسَ البعيدةْ؟

منْ أينَ جاءتْ؟

كيفَ أبصرَتِ الطريقَ أَمامَها؟

منْ أيِّ أفْقٍ في فضاءِ اللهِ؟

منْ أيِّ المجرّاتِ استعارتْ

مفرداتِ وجودِها

هطلتْ على الأوراقِ

ساخنةً عنيدةْ؟!

منْ أيِّ موجٍ يخرجُ الإيقاعُ؟

في أيِّ السَّماواتِ استوى صلصالُهُ

وتشابكتْ باللاّزوردِ شطوطُهُ

وخطوطُهُ،

فأتى بموسيقى جديدةْ؟

لا شيءَ فوقَ الماءِ كانَ

ولم يكنْ في الغيمِ حينَ أتتْ

سوى غيبوبةٍ

وهفيفِ أجنحةٍ

وأوجاعِ المخاضِ

وصوتِ أنّاتٍ مُشاكسةٍ

لأشكالٍ عنيدةْ.

أرأيتَ قَطْراتِ الندى

صوتَ ارتطامِ العينِ بالكلماتِ

ميّتةً

مُعَفَّرَةً،

ومنهكةً على القاموسِ

لا تمشي..

وحينَ يَهُزُّها قلبٌ بريشتِهِ،

ويغمدُ ماءَها في نارِهِ؛

تنثالُ مورقةً فريدةْ؟!

فانزعْ قناعَ الطينِ منْ عينيكَ

واقرأْ ما وراءَ الطينِ منْ كَنْزٍ

ومنْ ضوءٍ

وأمواجٍ،

وما خلفَ الجدارِ منَ التعاويذِ الشَّريدةْ.

وجـــه الـبراءة النـائـم

إلى الأب والصديق الأستاذ أحمد حسين المروني

وجه البراءة النائم

إلى الاب والصديق الاستاذ احمد حسين المروني

شامخاً كنتَ

قامةُ روحِكَ لا تعرفُ الانحناءَ،

تجيءُ الغيومُ

وتذهبُ،

تأتي العواصفُ حاقدةً

ثمَّ تذهبُ..

بالأمسِ أغمضتَ عينيكَ

غافلْتَ أحبابَكَ الطيّبينَ

ونمتَ،

لماذا

وما زالَ جيلٌ جديدٌ

إلى ماءِ عصرِكَ يزحفُ،

يشتاقُ تعويذةً

منْ مرايا يديكْ؟

* * *

سيّدي

نائمٌ أنتَ في حجرةٍ

تشبهُ الوطنَ – الأمَّ

مغسولةٍ بالدُّموعِ،

الندى يتناثرُ

والضوءُ،

عطرُكَ يملأُها

وتزيِّنُ جدرانَها كلماتُكَ:

"روحي فِدى وطني".

في الميادينِ

ترقدُ – كالجثثِ – الظُّلماتُ،

ويستيقظُ الشُّهَداءُ

وقد حملوا حزنَهم والنجومَ،

وهم في الطريقِ إليكَ

ليستقبلوكَ غداً في رحابِ الإلهْ.

* * *

سيّدي نَمْ،

فإنَّ المدينةَ نائمةٌ والحديقةَ..

لا صوتَ في جسدِ اللّيلِ

كلُّ النوافذِ نائمةٌ؛

وحدَهُ الحزنُ مستيقظٌ،

يجلسُ الشعراءُ إليهِ

وقد حملوا صمتَهم في نزيفٍ طويلٍ

تشظَّتْ قصائدُهم،

هبطتْ لتجوبَ الأزقّةَ،

تلهثُ باحثةً

عنْ دمِ الذّاكرةْ.

* * *

سيّدي..

نامَ وجهُ البراءةِ عذباً

نقيّاً

غداةَ رحلتَ،

وشاخَ القرنفلُ في شارعِ الذّكرياتِ

تهشَّمَ "وا حَرّ قلباهُ"..

ماذا تبقّى منَ الوردِ في الكلماتِ،

منَ الضوءِ في الحدقاتِ؟

ومنْ يمنحُ الصبحَ بسمتَهُ

والمساءَ تحيّتَهُ؟

منْ يوزّعُ بينَ تلاميذِكَ البركاتْ؟

نـــزيـف الـــرّوح

إلى الراحل الدكتور أحمد البشاري

نزيف الــرُّوح

إلى الراحل الدكتور احمد البشاري

النجومُ انكسرتْ

وانطفأتْ..

لم يعدْ في الأفْقِ منْ ضوءٍ،

ولا منْ ضحكةٍ في الأرضِ؛

فاخرجْ يا صديقَ الرُّوحِ

غادرْ مسرعاً..

فالكفنُ اللَّيلُ

وأوجاعُ الظنونْ.

أيّها الرّاحلُ في فجرٍ منَ العمرِ

وفي صحوٍ منَ الأيّامِ،

ساعدْني على أنْ أقهرَ المحنةَ

أن أسترجعَ الأسئلةَ الحيرى،

وأرثي وطناً جَفَّ

وأدمتْ قلبَهُ الباكي

الدَّواهي والسنونْ.

لا تقلْ ماتَ دمي

لكَ أنْ تخرجَ منْ نعشِكَ

منْ قبرِكَ بعضَ الوقتِ،

أنْ تقرأَ ما أبدعَهُ موتُكَ منْ حزنٍ

وأنْ تستأذنَ (الرَّحمنَ)

في يومِ وداعٍ لمحبِّيكَ

لئلاّ يعتري الخلقَ الجنونْ!

لكَ يا أحمدُ أنْ ترتاحَ في عالَمِكَ العُلْويِّ،

أنْ تتركَنا لليأسِ

للفوضى،

وأنْ توقفَ منْ هذا التَّزيفِ المرِّ..

نجماً كنتَ

تختالُ بكَ الأيّامُ

تزهو الأرضُ،

يختالُ بكَ الوردُ إذا تُبصِرُ

والنهرُ إذا تعبرُ،

والشعبُ الحنونْ.

يا أخي في الحزنِ والأحلامِ،

في الشوقِ إلى...

مدنٍ أحلى

وعصرٍ طالعٍ منْ عالَمِ الحبِّ

وضوءِ اللهِ،

لا تسرعْ إلى مثواكَ في جنّتِهِ

ما زالَ حُلْمُ الأرضِ

والأجنحةُ الغرقى على جبهتِهِ

ترنو

وتخضرُّ مُروجٌ وشجونْ.

منامات الصنعاني

منامات الصنعاني

بينَ نومٍ ونومٍ على مرفأِ الرُّوحِ،

أفتحُ نافذةَ القلبِ

أهربُ عبرَ شبابيكِهِ،

لزمانٍ مضى

لحدائقَ كانتْ

لوردٍ ترنَّحَ في لونِهِ.. في الأريجِ،

لحُلْمٍ صعدتُ بِهِ صوبَ لا أرضَ

لا خوفَ،

حيثُ انتقتْ لي أصابعُ روحي

قصائدَ منْ ذهبِ الكلماتِ..

وحينَ أعودُ إلى كتبي

وفراغي،

يهاجمُني عبرَ نافذةِ الصمتِ

والخلواتِ

عواءُ الذئابِ

أشمُّ احتراقَ الحدائقِ

رائحةً لدمِ الكلماتِ

بكاءً عميقاً لأوردةِ الياسمينْ.

* * *

بينَ نومٍ ونومٍ تغادرُني الأرضُ،

أفتحُ ذاكرةَ اللَّيلِ

تحملُني للفضاءِ النجومُ الجميلةُ

تمسكُني بأصابعِها

وتناوشُ خوفيَ بالصَّلَواتِ

بعطرٍ منَ الأغنياتِ..

أحدِّقُ حوليَ.. ماذا أرى؟

وطناً للعصافيرِ

والفقراءِ وللطيّبينَ،

ولا جندَ، لا حُكْمَ،

لا شرطةً، لا زنازنَ.

تنشرحُ الرُّوحُ

تطفو على سدرةِ الضوءِ

تنفضُ عنها رمادَ الكآبةِ..

لكنّ صوتَ رنينِ القيودِ

يدقُّ يطاردُ روحي،

فتصرخُ: لا..

لا أريدُ الرجوعَ إلى الأرضِ

أكرهُ أحزانَها

وغبارَ الفجيعةْ.

* * *

بينَ نومٍ ونومٍ

تداعبُني في المرايا خيولٌ،

وتستيقظُ الرُّوحُ

خارجةً منْ سُباتِ غوايتِها،

وعلى ضوءِ ما اختزنَ الوقتُ

منْ ماءِ أشواقِها

وحنينِ براءتِها،

تتجوَّلُ في الأرضِ

في ضفّةِ الكائناتِ،

تطوفُ بكلِّ المساجدِ

كلِّ المعـــابدِ،

تسكنُ في راحةِ اللهِ

ترقى،

تنظّفُ أدرانَها

وهواجسَ أطماعِها

في بهاءِ المحبّةِ،

تَعْساً لها

حينَ تصحو على مفرداتِ الدَّمامةِ

في شارعٍ معتماتٌ

حجارتُهُ،

وحدائقُهُ تتنفَّسُ أدخنةً

و(عوادمَ)

تورقُ أشجارُها كمداً غامقاً

وأسىً لا ينامْ.

* * *

بينَ نومٍ ونومٍ

أغادرُ نفسي

وأحلمُ لو تتركوني وحيداً

لأحفرَ صدري

وأدفنَ هذا الكيانَ الهزيلَ بِهِ،

ثمَّ أدخلَهُ خاشعاً.

أتوكّأُ بالكلماتِ

وما اختزلتْ منْ بكاءِ العَروضِ

وإيقاعِهِ

المتحشرجِ.

لا شيءَ يجرحُني

مثلَ هذا الخليطِ منَ الموتِ،

والنومِ

والصحوِ..

هذا الخليطُ منَ الحزنِ

والخوفِ،

لا شيءَ يغسلُني

ويباركُني كالمناماتِ

في زمنٍ طافحٍ بالأسى

مترعٍ بالجنونْ.

* * *

بينَ نومٍ ونومٍ

يفاجئُني البحرُ،

يأتي لصنعاءَ منْ شرقِها

وكطفلٍ تشرَّدَ عنْ أهلِهِ

يرتمي تحتَ أقدامِها خاشعاً،

يتجوّلُ

يركضُ فوقَ شوارعِها،

ويداعبُ أطفالَها.

كم تكونُ بتولاً وفاتنةً

وَهْيَ تبتلُّ بالبحرِ،

تحنو عليهِ

تمشِّطُ أزرارَهُ،

ثمَّ تغزلُ منْ فيضِ زرقتِهِ

شرشفاً للنوافذِ

والشُّرُفاتِ

تَفكُّ تجاعيدَها

فوقَ أمواجِهِ الناعماتِ..

وينحسرُ البحرُ

يخرجُ منْ حُلْمِهِ،

وتعودُ الشوارعُ تجترُّ أحزانَها

وغبارَ مواجيدِها،

وتظلُّ المدينةُ – ما بينَ نومٍ ونومٍ –

تعانقُ بحراً منَ الحُلْمِ والكلماتْ.

* * *

بينَ نومٍ ونومٍ

رأيتُ يداً ترسمُ الأرضَ

بيتاً منَ الضوءِ،

يسكنُهُ كلُّ أبنائِها،

حيثُ لا فرقَ بينَ القصيرِ

وبينَ الطويلِ،

وأشقرُهم مثلُ أسودِهم.

ورأيتُ المحيطاتِ صارتْ حقولاً

مرصّعةً بالبحيراتِ،

والأنبياءَ على غيمةٍ عذبةٍ

يستريحونَ بعدَ الصلاةِ..

ولا سيفَ في (البيتِ)

لا بندقيّةَ،

أسوارُهُ منْ غناءِ العصافيرِ

منْ شَدْوِها،

تتدلّى الأغاني منَ الشُّرُفاتِ

كما الوردُ

للناسِ – تَبَّتْ يدُ الاختلافِ –

شرائعُهم

للحَمامِ شرائعُهُ، للفراشاتِ.

كلُّ الجبالِ زجاجيّةٌ

والحجارةُ تكشفُ ما خلفَها،

شجرُ السَّرْوِ يرقصُ

والياسمينُ يغنّي،

وفي لحظةٍ تختفي اليدُ والرَّسْمُ،

عادَ الجدارُ..

المخدّاتُ صارتْ جداراً

وطارُ حمامُ المنامْ!

* * *

بينَ نومٍ ونومٍ

تجيءُ القصيدةُ صافيةً

كأديمِ السَّماءِ،

مبرّأةً منْ غبارِ التضاريسِ

حاملةً شمسَ أيّامِنا

وردَ أيّامِها،

وتنادي على ورقٍ

لتخطَّ عليهِ السطورَ التي تشتهي

والحروفَ التي تشتهي

والزَّمانَ الذي لا تريدُ التقاليدُ،

تأتي القصيدةُ منظومةً تارةً

غيرَ منظومةٍ تارةً،

فأشُدُّ على مائِها وترَ القلبِ

أزهو بخلجانِها

وبساتينِها،

فإذا استيقظتْ خرجتْ منْ فضاءِ المنامِ

ومنْ طقسِهِ..

دخلتْ حلقاتِ الكلامْ.

بـقايـا حبـر مضـيء

إلى المتصوف الثائر الشيخ عبدالله علي الحكيمي،
في خمسينية صحيفته الخالدة الأكر (السلام)

بقايا حبر مضيء

إلى المتصوّف الثائر الشيخ عبدالله علي الحكيمي
في خمسينية صحيفته الخالدة الذكر (السلام)

– 1 –

يا شيخي

دثّرْني بعباءةِ أهلْ العشقِ الأكبرِ،

خُذْ بيدي منْ هذا اللّيلِ

إلى شمسٍ لا تغربُ

ونجومٍ لا تفنى.

سبقتْني الأحلامُ إليكَ

وما زالتْ عطشى

تركضُ خلفَ النارِ الخضراءِ

تنادي:

يا عبدَ اللهْ!

- 2 -

يا شيخي

تتأجَّجُ نارُ الحسرةِ في صدري

شوقاً للقُرْبِ،

تراودُني الخلوةُ

أصعدُ في أفُقٍ خالٍ منْ إيقاعِ (القاتِ)،

ويدعوني زمنٌ مكتظٌّ بالصحوِ

ومتّقدٌ بنداوةِ معراجِ الرُّوحِ،

أرى وجهَكَ في (شمسانَ)

وفي (عيبانَ)،

وأقرأُ ما تكتبُهُ عنكَ قناديلُ الصبحِ

وما أبقاهُ سكونُ الرَّهبةِ منْ أفُقٍ

لقصائدِ أحلامي.

– 3 –

يا شيخي

استوحشْتُ منَ الناسِ..

رحلتُ بعيداً،

شاهدتُ نجوماً تتصارعُ

شاهدتُ قبائلَ تتناحرُ،

ولمحتُ النارَ على جبلٍ مشتعلٍ

فارتعشَتْ قدمايَ منَ الشوقِ،

وجازَفَتِ الرُّوحُ.. انطلقتْ،

لكنَّ الرِّحلةَ مضنيةٌ

واللَّيلَ سحيقْ.

– 4 –

يا شيخي

صوتٌ مؤتلقٌ

صوتٌ يتدلَّى منْ ملكوتِ الضوءِ،

يقولُ:

انتظروا ريحاً منْ أقصى الغربِ

وحبّاتِ ندىً منْ جمرٍ

خلجاناً راجفةً،

تتراكضُ بحثاً عنْ أضرحةٍ

وفجائعَ،

والرِّيحُ الجوّابةُ تهدرُ

تصفرْ،

وتحاولُ خاسرةً

أنْ تتحدَّى بالعتمةِ نورَ اللهِ

وشمسَ الصحراءْ.

ثـلاث رسـائـل

إلى ضمير الحرف العربي الناصع
الشاعر الكبير سليمان العيسى

ثلاث رسائل

إلى ضمير الحرف العربي الناصع
الشاعر الكبير سليمان العيسى

الرسالة الأولى:

إلى متى تصرخُ في البيدِ ولا أحدْ،

في غابةِ الأسمنتِ،

في شوارعِ الكلامِ حيثُ لا أحدْ؟

إلى متى يا أيّها الجميلُ

هذا آخرُ العامِ

وهذا شجرُ الميلادِ ذابلٌ

نازفةً أحلامُهُ

بادي الشَّجا،

ولا جديدَ يسندُ الحرفَ ولا أجَدْ؟

وأنتَ حاملٌ مصباحَكَ اللّيليَّ

باحثاً عنْ عسلِ الرُّوحِ،

وشَعْرُكَ الأبيضُ

ثلجُ الزمنِ اليابسِ

يستوي منهمراً على جبينٍ ناصعٍ،

لا ينحني للقصفِ

لم يزلْ نقيّاً شامخاً،

يقطفُ للأطفالِ منْ ثمارِ الشمسِ تفّاحاً

ومنْ بساتينِ اللُّغاتِ زيتوناً

ومنْ عيونِ الأمّهاتِ،

منْ صدورِهنَّ ورداً وندىً،

تعويذةً منَ الحسدْ

الرسالة الثانية:

تأخّرَ المطرْ

يا شاعري تأخّرَ المطرْ،

تمرَّدَ الترابُ في حقولِنا

وجفَّ في فمِ العصفورِ صوتُ الناي،

واشتكى الحجرْ

هلْ يرضعُ النفطُ دمَ الأطفالْ؟

الذهبُ الذي تراكمَتْ أكوامُهُ

ماذا يقولُ للأطفالْ؟

إنْ خسروا أحلامَهم

وإنْ نأتْ عنْ أفْقِهم

– في الزمنِ الحامضِ –

قطرةُ المطرْ

وإنْ جفاهم أخضرُ الكلامْ..

منْ يشتري لي غيمةً؟

– يقولُ الطفلُ –

منْ يحملُني على جناحِ كلمةٍ

إلى زمانِ الحبِّ والأحلامْ؟

كلُّ الفراشاتِ التي أحببْتُ

هاجرَتْ

وسكنَتْ هناكَ عندَ حافَةِ القمرْ..

.....

.....

أشتاقُ للفراشاتِ وللقمرْ.

الرسالة الثالثة:

رصاصةٌ حاقدةٌ عطشى

هديّةُ الشّاعرِ للشّاعرِ

في زمانِ القصفِ

والمروءةِ القتيلةْ

في زمنِ القبيلةْ..

كيفَ تصيرُ الكلماتُ مخلباً؟

كيفَ تصيرُ شوكاً يابساً؟

يا شاعرَ الأمّةِ

هذا زمنٌ للقبحِ – سافراً – وللرَّذيلةْ

لا يفتحُ القلبُ الحزينُ جفنَهُ

على إنسانْ

ولا تشفُّ عنْ أشواقِها الأجفانْ.

أيتها القصائدُ الشّاحبةُ اللّونِ

الحزينةُ الحروفِ

كيفَ ترحلينَ نحوَ الزمنَ الآتي؟

وكيفَ تركضينَ في فضائكِ الغامضِ

نحوَ الأرقِ الصاعقِ

نحوَ الوهمِ؟

كيفَ تخرجينَ منْ مَداكِ البِكْرِ

منْ صلاتِكِ الجميلةْ؟!

قصائد الظهيرة

قصائد الظهيـــرة

دعني هنا،

للضوءِ في وسطِ الظهيرةِ

كم حلمتُ بساعةٍ للرُّوحِ

تغتسلُ الحكايةُ

والطبيعةُ

يستحمُّ العشبُ فيها

لا غبارَ

كأننا في قاعةٍ منْ مرمرٍ خضراءَ،

معشبةِ النوافذِ

والرُّخامْ.

كم مرّةٍ حملَ الشتاءُ إليكَ

أمواجَ القصيدةِ في الظهيرةِ،

واستوى جسدُ الكلامِ

معَ الأشعّةِ..

يا فضاءَ الله

في صمتِ القرى النّعْسانِ

أطلقْني إلى ماءِ الظهيراتِ

اقتربْ مني

ودعْ كفّي تلامسُ جسمَ هذا الغيمِ

تعتصرُ السحابَ قصيدةً

وتنامُ في ماءِ الكلامْ.

* * *

كنّا نسيرُ.. أنا وأحزاني،

افترقْنا عندَها

وطوى سوادَ شراعِهِ في ضفّةِ الوادي،

وأدركَني بياضٌ منْ مباهجَ

ثرّةِ الألوانِ

تغمرُني أشعّتُها

ويغشى مقلتي فرحٌ طفوليٌّ

ويدركُ قلبيَ المكسورَ

فيضٌ منْ وئامْ.

كسرتْ مرايا الحقلِ

شمسُ ظهيرةٍ حبلى،

وكانَ نهارُها يبكي منَ المطرِ اللّذيذِ..

تمدَّدَتْ خرفانُ قريتِنا على العشبِ

المندَّى..

ثَمَّ رائحةٌ وموسيقى،

سمعتُ هتافَ أشجارٍ

وعزفَ حديقةٍ،

يا أرضُ كوني دوحةً للعشقِ

كوني ساحةً لغناءِ أسرابِ الحمامْ.

صباحيّة

صباحيّة

- 1 -

قبلَ أنْ يخرجَ الناسُ

منْ ماءِ أحلامِهم

ويجفَّ الندى فوقَ شمسِ النوافذِ،

كانتْ هناكَ تغني

تداعبُ وجهَ الصباحِ،

وتغسلُ لونَ الفضاءِ

منَ الغبشِ المتبقّي على الأفْقِ..

سيّدتي..

منْ تكونينَ؟

هلْ أنتِ صوتُ الطبيعةِ

أم حُلُمٌ شاردٌ بتلاوينِه،

يتجوَّلُ فوقَ البيوتِ،

يسيرُ الهوينا

على شكلِ صفصافةٍ

أو سحابةْ؟

– 2 –

صوتُها وأنا

منذُ حينٍ صديقانِ

يقتسمانِ الهدوءَ

ويحتسيانِ غيومَ الصباحِ الشَّفيفةَ.

ماذا تكونُ..

اسْمُها

شكلُها؟!

لستُ أدري سوى صوتِها،

حين يأتي يداعبُ نافذتي

يتمهلْ عذباً رقيقاً

كضوءِ الصباحِ،

يشاركُني قهوتي

وبقايا الدموعِ التي أهرقَ اللّيلُ

نيرانَها.

يا صديقي اللّذيذَ الخطى..

أنتَ يا صوتَها،

ليسَ بي رغبةٌ في الوصولِ إلى دارِها،

لا..

وأرفضُ أنْ يستبيحَ الخيالُ

غموضَ الكتابةْ.

قصائد لزمن الطفولة

إلى الحفيدين: هيثم وامين

قصائد لزمن الطفولة

إلى الحفيدين: هيثم وامين

- 1 -

منْ هنا،

منْ ليالي الكهولةِ والخوفِ،

ترحلُ أيّامُنا غيرَ آسفةٍ

نحوَ عشبِ الطفولةِ،

باحثةً عنْ قناديلَ منْ فضّةٍ

وأباريقَ منْ ذهبٍ،

عنْ بقايا أغانٍ مبعثرَةٍ

في رصيفِ الزّمانِ القديمِ،

وعنْ حفنةٍ منْ أساطيرَ

غارقةٍ في جِرارِ السنينْ.

- 2 -

حنينٌ لغيمِ الطفولةِ

يملأُني

ويكثّفُ عمراً منَ الكلماتِ،

وعمراً منَ الحزنِ

والرَّغباتِ النَديّةِ،

والسَّقَطاتِ البريئةِ..

يا صاحبي قفْ قليلاً

وهيّا نعودُ لأيّامِنا

الغافياتِ

على شاطئِ الزمنِ البِكْرِ،

أيّامَ تلكَ الظلالِ الجميلةِ

أيّامَ تلكَ العيونِ الخجولةِ،

أيّامَ لا نرتدي غيرَ ثوبِ البراءةِ

أيّامَ نستخدمُ اللُّغةَ الصامتةْ.

– 3 –

كلّما حاولَ الحزنُ نسيانَ

أوديةِ الأمسِ،

أو أمعنَ اليأسُ في محوِ آثارِها

غَطَسَ القلبُ في ماءِ نهرِ

التذكّرِ،

واقتادَ منْ شاطئِ النهرِ

بيتاً أليفاً،

قرىً تتناثرُ فوقَ التلالِ،

وبعضَ رفاقِ الصِّبا

في ثيابٍ مهلْهلةٍ

وأساريرَ ضاحكةٍ

وهوىً شاحبٍ،

كيفَ نمضي إليهم؟

وكيفَ نعودُ إلى زمنٍ لا يعودْ؟

- 4 -

هلْ ترى العينُ مشهدَهم

ساعةَ الوصلِ،

حينَ تودِّعُهم في الصباحِ المنازلُ

عاشقةً ضوءَ أقدامِهم،

وتظلُّ تراهم بعينينِ حانيتينِ

إلى أنْ يغيبوا،

وتبقى تتابعُ وَقْعَ خطاهم

إلى أنْ تغيبَ،

وتلتهمَ الطرقاتُ الصدى

والأحاديثَ..

أيتها الشّمسُ رِفْقاً بهم

أيها الظّلُّ رِفْقاً بهم

منْ غبارِ الطريقِ القديمِ

ومنْ عبثِ الرِّيحِ

والعاصفةْ.

– 5 –

في المدارسِ تقرأُهم

وتداعبُهم نافراتُ الحروفِ،

وكالشَّجراتِ الصغيراتِ

تنمو أصابعُهم،

وتكونُ لهم صبواتٌ

وتورقُ أصواتُهم؛

يذهبونَ ويأتونَ،

لا يلحظونَ التغيُّرَ في الشمسِ

لا يلحظونَ التغيُّرَ في الأرضِ

لا يلحظونَ التغيُّرَ

في الأمكنةْ.

- 6 -

خذيني إليهم - يقولُ الحمامُ الأليفُ،

تقولُ النوافذُ -

أصواتُهم في الشِّغافِ

وأطيافُهم كغيومٍ على الأفْقِ

شاردةٌ،

كلّما صعدَ الوقتُ

أرخى الحنينُ ستائرَهُ،

وارتمى قمرٌ مستديرٌ هوَ الشوقُ

يغمرُ آثارَهم بنثارٍ منَ القبلاتِ،

وفي دفترِ اليومِ

يكتبُ أشجانَهُ

وصلاةً مضمَّخَةً بالأماني

الجميلةْ.

- 7 -

في المساءِ يعودونَ

تسبقُهم نارُ ألواحِهم،

وتضاءُ المنازلُ

والطرقاتُ بأصواتِهم

ويعودُ إلى الغرفِ الضوءُ

والدفءُ..

يا أيها اللَّيلُ خَفِّفْ منَ الظُّلماتِ،

فأبناؤُنا يقرأونَ كتابَ المساءِ

وتحلمُ أجفانُهم بكتابٍ

منَ الصبحِ،

كنْ مشفقاً

وحنوناً بهم أيها اللَّيلُ

وافتحْ على الأرضِ سقفَ

النجومْ.

– 8 –

يطيرونَ منْ غيرِ أجنحةٍ

يضحكونَ بلا سببٍ،

يفتحونَ الشبابيكَ أو يغلقونَ الشبابيكَ،

لا يحفلونَ بما خبَّأَ الغيبُ،

لا يحفلونَ بما حملتْهُ الرِّياحُ..

على راحةِ الأمِّ يلقونَ أجسادَهم

وينامـــونَ جوعى؛

إذا ما خلتْ سلّةُ البيتِ

منْ خبزِها القرويِّ،

وأقفرَ حقلُ الشتاءِ فلا خوخَ

في صدرِهِ أو عنبْ.

- 9 -

لم يكنْ زمناً

كانَ طيفاً لذيذَ الهوى،

كانَ نهراً منَ الحُلْمِ

فيهِ تساوى الشتاءُ وأشواكُهُ

بالرَّبيعِ وأوراقِهِ،

لا مكانَ لحزنٍ

ولا قلقٍ،

إنها الغبطةُ المستديمةُ،

وَهْوَ الرِّضا المتألّقُ في الوجهِ

والكلماتِ

ارتعاشُ التوحُّدِ بالناسِ

والأرضِ في زهوِها

وبأشيائِها الخالداتْ.

– 10 –

واحةٌ منْ عصافيرَ

لا ترتوي منْ غناءِ الطفولةِ

لا ترتوي منْ شفافيّةِ الوقتِ،

منْ نزقٍ أخضرٍ كعبيرِ الحدائقِ،

منْ صرخةٍ عذبةٍ

كندىً يتجولُ بين فَراشِ الضُّحَى،

ليتَها بعدَهُ أغلقَتْ صفحةَ العمرِ

أو أنها وهبتْ ما تبقّى

منَ الكأسِ للبحرِ

للوردِ

للكلماتِ،

فقد حملَ الرُّوحُ

مذْ رحلَ الزمنُ الطفلُ

ما كانَ يُخشى،

وما لا يُطاقْ.

ينابيع أولى

ينابيع أولى

1- أخـــي:

كنتُ إذا بكيتُ يبكي

وإذا حلمتُ بالنارِ اشتوتْ أطرافُهُ،

وكانَ مثلي شاعراً

يحلمُ في الصباحِ أنْ يسرقَ غيمةً

وأنْ يداعبَ السحابةَ البيضاءْ،

في اللّيلِ أنْ يحبِّيَ النجومَ

في غرفتِهِ

وأنْ يفتِّتَ الظلماءْ،

كانَ صدىً لي

وأنا صدىً له،

لم أدرِ هلْ أنا هوَ،

أمْ إنّهُ أنا..

قميصُنا – مذ جاءَ – كانَ واحداً

وحبُّنا للشمسِ كانَ واحداً

إعجابُنا بالطفلةِ الحسناءِ كانَ واحداً

لقمتُنا – منذُ أتى الوجودَ –

كانتْ واحدةْ.

2- صديقي:

عيناهُ للربيعِ

قلبُهُ للشمسِ

كفُّهُ للأرضِ..

إنّه صديقي (سيفُ)

حينَ تهطلُ الذّكرى

أراهُ في ثوبِ طفولتي،

وفي مجامرِ اللّيالي المورقاتِ بالأشجارِ

والأحزانْ.

أفتحُ في دمي خزانةَ الذّكرى

فألقاهُ كعصفورٍ يناوشُ الأشجارَ

والأعشابَ

والشّحاريرَ،

أراهُ في دمي،

ألمحُ بينَ عينيهِ،

وفي مرايا شفتيهِ أسراراً

وعمراً صافياً،

يغسلُني بمائِهِ المجروحِ

منْ غبارِ الزمنِ الذّاوي

ومنْ ذهولِ اللّحظةِ الغريبةْ!

بكـائيـّة

إلى صديقي الشاعر محمد عبدالسلام
منصور في حزنه على رحيل والده الحبيب

بكائيّة

إلى صديقي الشاعر محمد عبدالسلام
منصور في حزنه على رحيل والده الحبيب

– 1 –

لم يبقَ منْ زمنِ الحياةِ
سوى القليلِ
الموتُ أسرفَ في امتلاكِ الأرضِ،
أسرفَ في امتلاكِ زمانِها
ومكانِها،
لم يبقَ إلاّ الموتُ

فاكتبْ يا صديقي

ما تبقّى منْ سطورٍ فيكَ

في عكّازةِ العمرِ العجوزِ

وفي رمادِ العينِ

في حِبْرِ العظامْ.

– 2 –

لم يبقَ إلاّ الموتُ

سيّدُ هذه الدّنيا،

فلا تحزنْ

ولا تفرحْ،

ولا تبكِ السَّماواتِ التي تنأى

ولا الأيتامَ والأيّامَ،

وانتظرِ البشارةَ في المقابرِ

في الرُّقى.

واحذرْ – صديقي – تحترسْ

منْ طلقةٍ أو طعنةٍ

أو منْ ذُباباتِ الظلامْ.

– 3 –

لا.. ليسَ إلاّ الموتُ

إلاّ الشعرُ

يفتحُ هذه الأبوابَ،

يعصفُ بعدَ أنْ رقدَتْ جفونُ الخلقِ،

وامتدَّ الحريقُ منَ المياهِ

إلى المياهِ،

وخانتِ الرُّؤيا الدّليلَ

وأسدلَتْ حولي

وحولَكَ كلّ هذا اللّيلِ..

لا أحدٌ سِواهْ.

- 4 -

غابوا أحبّتُنا

افتقدْنا ظِلّهم

وكلامَهم،

وحنينَ ذاكَ الانخطافِ

إذا اكتسى وجهُ المدينةِ بالغمامْ.

يا صاحبي،

لم يبقَ إلاّ الموتُ ينقذُنا،

يحرِّرُنا منَ الزمنِ الكئيبِ

ومنْ مُخاتلةِ اللّئامْ.

بطاقة للقرن الجديد

إلى عدنان الصائغ، الصديق
والشاعر، في منفاه المؤقت

بطاقة للقرن الجديد

إلى عدنان الصائغ، الصديق
والشاعر، في منفاه المؤقت

صباحٌ جديدٌ
وأغنيةٌ تتسكَّعُ خلفَ الشبابيكِ،
تبحثُ عنْ غيمةٍ أو سحابةْ.

* * *

صباحٌ جديدٌ
وأمنيةٌ تتحدَّرُ عبرَ سماءٍ
منَ الحُلْمِ،
تغسلُ أرواحَنا

وتُذيبُ ثلوجَ الكآبةْ.

صباحٌ جديدٌ

وشمسٌ منَ الحبِّ دافئةٌ

كالنبيذِ المعتَّقِ في صدرِ خابيةٍ

تشتكي للزَّمانِ شبابَهْ.

* * *

صباحٌ جديدٌ

و(سوناتةٌ) عذبةُ الكلماتِ

وطازجةٌ،

تترقرقُ مثلَ الندى فوقَ صنعاءَ،

حاملةً دهشةَ الشعراءِ

وكاشفةً عنْ جنونِ الغرابةْ.

* * *

صباحٌ جديدٌ

وقرنٌ منَ الضوءِ

يحملُ أطفالَنا

وقصائدَنا،

لزمانٍ تخلّتْ عنِ الحقدِ أيّامُهُ

وتخلّتْ شوارعُهُ

عنْ معاني الرتابةْ.

تـــراتيـــل ومـــرايـــا

وأَفِرُّ منْ نفسي إليهْ

وأَفِرُّ منْ أهلْي إليهْ

وأفِرُّ منْ زمني إليهْ،

وإذا شكوتُ فإنني أشكو إليهْ،

وإذا بكى قلبي

وأطبقَ ليلُ أحزاني أمدُّ يدي إليهْ،

وغداةَ ينبو الرُّوحُ عنْ بدني

فإني عائدٌ تَوّاً إليهْ.

* * *

يا منْ بنى عرشَ الكلامِ

وفي فضاءٍ

منْ نبوّاتِ المحاريبِ اصطفاهُ

وشـــادَهُ،

وأحاطَهُ باللاّزوردِ

ورشَّ أضواءً عليهْ..

ناديتُ في كلّ اتجاهْ،

وشردتُ في كلّ اتجاهْ،

وسألتُ في كلّ اتجاهٍ..

دلّني صمتي إليهْ.

* * *

تتسكّعُ الأرواحُ في بستانِه

وتهيمُ في وديانِه

وتجوسُ في شطآنِه

عطشى إلى رضوانِه

وإذا تَصَدَّعَتِ الحروفُ

الظامئاتُ،

ورفَّ برقٌ منْ دمٍ

سكنتْ معلّقةً

على أجفانِهِ

وبقوّةٍ أخذَ الكتابَ

وسارَ مزهوّاً إليهْ.

* * *

بالصُّدفةِ انكسرتْ محارةُ روحِهِ

خَرجَتْ منَ الكهفِ العقيمِ

تجرُّ أعماراً منَ الكلماتِ

سكرى منْ روائحِ دَوْحِهِ،

متأرجحاً بينَ المنامِ

وبينَ خيطٍ منْ مرايا نَوْحِهِ،

يا لَلْحصى شفّافةً

رسمتْ طريقي نحوَهُ

ومشتْ إليهْ.

* * *

مطرٌ منَ الكلماتِ

والأضواءِ

يرقصُ بينَ ظِلّي

والدِّماءْ،

عيناهُ تحتضنُ السَّماءْ

شجرٌ بلا ماءٍ،

وأطفالٌ على المرآةِ

تهتفُ: ماءْ.. ماءْ.

وأنا طريحٌ فوقَ نارِ العشقِ،

تسبقُني استغاثاتي.. نداءاتي إليهْ.

* * *

حَجرٌ

هوَ الجسدُ الذي حَملتْهُ روحي،

سكنتْ على أوجاعِهِ دهراً،

ونامتْ في خطيئتِهِ جروحي

حطباً يناولُني مسرّاتي،

وأهوائي

وأشجاني،

ويرسمُ لي طموحي.

يا أيها الحجرُ الذي هوَ – حينَ يلقاني –

أنا..

خذني إلى أوطانِهِ

خُــذْني إليــهْ.

* * *

ذَبُلَتْ نجومُ الذّكرياتِ،

توضّأتْ بمجامرِ النسيانِ

أيّامي القديمةْ،

وفتائلُ النورِ التي كانتْ تداعبُ جبهتي

ذَبُلَتْ،

رياحُ صبابتي صارتْ عقيمةْ.

يا طفليَ الموعودَ قفْ

وارجعْ

أمامَكَ عتمةٌ

ورؤىً دميمةْ.

فاكتبْ على ظهرِ الحصى شمساً

لتحملَني إليهْ.

بياض اليقين

بياض اليقين

- 1 -

أفوّضُ أمري إلى اللهِ

أصعدُ معراجَ روحٍ رأتْ موتَها

قبلَ أنْ يستحمَّ غبارُ المدينةِ

في الجفنِ،

يختارَها زمنٌ

ومكانٌ بلا رغبةٍ،

ويكونَ لها جسدٌ

ولسانٌ وعينانِ،

كانتْ ترى،

وتنوحُ وتشكو؛

رأتْ كائناً يتحرَّكُ فوقَ هديرِ التراب،

ويحملُها بينَ جنبيهِ..

يجري بها تارةً في حريرٍ منَ الضوءِ

مغمورةً بظلالٍ منَ العطرِ،

يجري بها تارةً في كهوفٍ منَ الرُّعْبِ

مبتلَّةً بصقيعٍ منَ الخوفِ،

شاردةً ذاهلةْ.

– 2 –

أفوّضُ أمري إلى اللهِ

أصعدُ منتشياً في ارتعاشِ القصيدةِ،

أخلعُ عنّيَ – في عَجَلٍ –

جسداً أرهقَتْني مخاوفُهُ

ونوازعُهُ،

أوجعَتْني انطفاءاتُهُ

حينَ يعشقُ أبّهةَ الحزنِ

حينَ يُداري مغامرةً لا تليقُ بِهِ،

يا رفيقَ طفولتِنا

وصِبانا

ومأوى الكهولةِ،

يا أنتَ يا جسدي..

كيفَ أغلقتَ نافذةَ الرُّوحِ

أطفأتَ أعذبَ ما فيكَ،

أغمضتَ قلبَكَ،

في خندقٍ مفعمٍ بالغوايةِ،

ألقيتَ كَنْزَ هواكَ

وفي غسقٍ لا قناديلَ في سقفِهِ،

تتخبَّطُ،

تقتاتُ أحلامَكَ الفاشلَةْ؟

- 3 -

أفوّضُ أمري إلى اللهِ،

أسألُهُ عنْ عدوٍّ منَ الناسِ

كانَ صديقي،

وأسألُهُ عنْ صديقٍ منَ الناسِ

كانَ عدوّي،

وعنْ كتبٍ كنتُ أقرأُها،

فيزيدُ بفضلِ القراءةِ جهلْي،

وعنْ بلدٍ كنتُ أحسبُهُ وطني

وأرى فيهِ أهلْي،

وجدرانِ بيتٍ عتيقٍ

يُسَيِّجُهُ الشوقُ والحزنُ،

عنْ طفلةٍ

كنتُ أعشقُ عطرَ جدائلِها

وأرى في ابتسامتِها عالَماً

فاتنَ القَسَماتِ،

وأسألُهُ..

أينَ بعدَ الذُّبولِ

يروحُ الجمالُ؟

وأينَ مصيرُ العيونِ

التي كانَ في طَرْفِها حَوَرٌ

يقتلُ العاشقينَ؟

وماذا جرى عندَ سقفِ الزَّمانِ

لنرجسِ أحلامِنا

وعواطِفنا الذابلَةْ؟!

- 4 -

أفوِّضُ أمري إلى اللهِ

لم يبقَ ظِلٌّ، ولا طللٌ،

كانتِ الأرضُ ساقطةً

والفضاءُ غريباً،

ولا نبضَ للكائناتِ..

كأني الوحيدُ الذي نسيتْهُ قرونٌ

منَ الموتِ،

أخفتْهُ في كهفِها الكلماتُ،

ولم يدرِ أنَّ القيامةَ قامتْ،

وأنَّ جميعَ الخلائقِ في قبضةِ الأبديّةِ..

ويلاهُ..

إني أفوِّضُ أمري إلى اللهِ

أقرعُ أبوابَهُ

بدموعٍ تكسَّرَ مرمرُها

في محيطٍ منَ الظلمةِ القاتلَةْ.

أشجـان مائيّـة

أشجان مائيّة

إلى صديقي الشاعر الكبير محمد العل

شجنٌ كالكِرِسْتالِ في فضّةِ اللّيلِ

يومضُ

يورقُ كالماءِ،

لا تتوالى مواعيدُهُ الغامضاتُ

ويعذُبُ كالحُلْمِ إيماؤُهُ،

حينَ يخلعُ عتمتَهُ

ويسارعُ للنَّبْشِ عنْ مدنٍ

غمرتْها مياهُ زمانٍ تبدَّدَ،

سربُ يمامٍ يشاغبُ جدرانَها

ودُمَىً أوهمتْ روحَهُ

أنَّ لا وقتَ يُغْري

سكينتَهُ،

حلوةٌ..

مرّةٌ هيَ فضّةُ هذا الشجنْ.

* * *

كانَ يشربُ قهوتَهُ لاهياً

ويداعبُ شمسَ الصباحِ

بريشتِهِ،

خصلةٌ تتوهَّجُ منْ شعرِها،

هبطتْ

وتماهتْ على ورقِ الرَّسْمِ..

ها هيَ تبتلُّ باللَّونِ

تأخذُ شكلَ خيولٍ

تضيءُ حوافرُها،

تتقافزُ خارجَ دائرةِ الظِّلِّ،

ترحلُ في ماءِ أشجانِها الشاردَةْ.

* * *

شجنٌ أبيضٌ كالسحابةِ

يصعدُ منْ أوّلِ العمرِ،

ينثالُ أخيلةً،

يترقرقُ شوقاً، حنيناً

يدقُّ جدارَ الطفولةِ في وَلَهٍ حارقٍ..

كانَ يمطرُ فوقَ هضابِ التذكُّرِ،

ها هوَ ذا هاطلٌ

مثلَ حُلْمٍ خفيفٍ،

أمدُّ يدي نحوَهُ،

أتحسَّسُ ماءَ براءتِهِ فيغيبْ.

* * *

شجنٌ في براري دمي

يتعمَّدُ إيقاظَ فصلٍ قديمٍ

منَ العمرِ،

رائحةٍ لمواويلَ منسيّةٍ،

يتلفَّتُ،

يطرقُ بابَ الظهيرةِ

ينسلُّ في شفقٍ شاحبٍ

يستوي وجهُهُ

كبقايا المغيبِ على الأرضِ،

في لونِ أمسيةٍ

ترتدي معطفاً منْ أغانٍ

وأزمنةً منْ أساطيرِنا الدّافئةْ.

خمس قصائد لمياه الأحزان

خمس قصائد لمياه الأحزان

أحزانُ الياء:

أنا في آخرِ الأبجديّةِ

لا شأنَ لي،

ظلمَتْني القواميسُ،

جغرافيا الوقتِ خانتْ

ضياءَ البدايةِ

وانكفأتْ..

كم زمانٍ مضى

منذ جاءتْ بيَ الأرضُ

جئتُ بها؟

كائناتُ الفجيعةِ تسكُنُني كالجبالِ

وتمتصُّني كالرياحِ،

ولا شأنَ لي في سوايَ

ولا شأنَ لي في شؤوني،

إلى أينَ أمضي؟

تكسَّرَ في داخلي

ألفُ مليونِ سيفٍ وسيفٍ،

وما زالَ قلبي طريّاً،

يحبُّ، ويَنْزِفُ أشواقَهُ،

لمياهِ الفصولِ الجميلةِ يشتاقُ،

يهوى معاكسةَ الشمسِ

والأنجمِ الفاتناتْ.

أحزانُ الشين:

في القصائدِ خبّأتُ ثروةَ عمري،

دفنتُ كنوزَ الشبابِ

وما ادَّخرتْهُ الكهولةُ،

لكنَّ كفّي المليئةَ بالكلماتِ الثمينةِ

لم تدّخرْ غيرَها،

جسدي مَنْزلي

وقميصي غطائي،

وصنعاءُ هذي العجوزُ الجليلةُ

تفتحُ لي بابَ أحزانِها،

وتقولُ: هنا خبَّأ الرَّبُّ أفراحَهُ

والكنوزَ التي ادَّخرتْها عنايتُهُ

للمحبِّينَ منْ خلقِهِ،

فارتحلْ نحوَهُ

كنْ وحيداً معَ الواحدِ.

أحزانُ الكاف:

كلُّ نفسٍ وما كسبتْ

كلُّ كفٍّ وما كتبتْ

ليتَ نفسي التي هطلَتْ

منْ سماءِ الإلهِ

مبرّأةً لا عظامَ

ولا لحمَ يسترُها،

ليتَها مكثتْ عندَ تلكَ الينابيعِ

تسكنُ آخرَ بيتٍ منَ الغيمِ

طاهرةً،

ليتَ كفّي التي خدعَتْني

وباعتْ دمي بغبارِ الكلامِ

استراحتْ،

وليتَ الكلامَ الذي سالَ

فوقَ يدي

قد شفى الرُّوحَ،

أو أنَّ صخرتَهُ سقطَتْ

في غبارِ الزِّحامْ.

أحزانُ القاف:

رفعوني إلى عرشِهم

عندَما كانتِ الأذنُ تقرأُ

والعينُ تسمعُ،

كانَ الكلامُ غذائي إذا مسّني الجوعُ،

كانَ غطائي إذا مسَّني الخوفُ،

كانَ، وكانَ

ولكنّهم أسرفوا في الخيالِ

وأسرفتُ في الواقعيّةِ،

فانقطعَ الوُدُّ بينَ الحروفِ

وأفعالِها..

هلْ يعودُ إلى الشعرُ سلطانُهُ

وإلى قارئِ الشعرِ إيمانُهُ

أمْ نقولُ: وداعاً،

وداعاً لوردِ الكلامْ؟!

أحزانُ الفاء:

ليسَ لي منْ سمائي سوى الخوفِ

والأرضِ – يؤسفُني –

أنَّ لا شيءَ لي فوقَها،

للعناكبِ بيتٌ

وللنملِ مملكةٌ،

للطيورِ قصورٌ بحجمِ الفضاءِ،

ولي وحدتي،

لا مكانَ لظلّي على الأرضِ،

لا شيءَ لي بينَ هذا الزِّحامِ

ولا شيءَ يمسكُني،

قيلَ لي: إنَّ قبراً بحجمِ عظامي

سيصبحُ مِلْكي

إذا هجرَتْني الحياةُ،

لهذا أحبُّ القبورَ

وأهوى الجلوسَ إلى أهلْها..

إنّهم طيّبونَ

ومحترمونَ،

وأخشى القصورَ

أخافُ الكلابَ التي عندَ أبوابِها

وأخافُ الجـــراذْ.

قصيدة الحرب

إلى علم اليمن الواحد رمز الحرية والجمال والحلم

قصيدة الحرب

إلى علم اليمن الواحد رمز الحرية والجمال والحلم

هيَ الحربُ،

تسلبُني هامتي

وحذائيَ

تسلبُني نعمةَ الانتماءِ إلى اللهِ،

لا شيءَ يبقى إذا ما أتتْ

لا جدارَ وراءَ البلادِ

ولا خَلْفَها،

لا مكانَ

تخبِّئُ فيهِ جواهرَ وَحْدَتِها

وثيابَ مبادئِها..

الوجوهُ الأشَدُّ بهاءً منَ النَّجْمِ

سوفَ يغادرُها لونُها

والعبيرْ.

(إذا كانتِ الحياةُ هبةَ اللهِ

فإنَّ الموتَ المجّانيَّ هبةُ الحربِ..

لم يتفتَّحِ الوردُ في فصلِ الربيعِ

لهذا العامِ،

وتفتَّحَتْ بدلاً عنهُ الجراحُ،

وحينَ أتى الصيفُ كانتِ المدنُ كابيةَ اللَّونِ

مُتَّشِحَةً بالسَّوادْ).

هيَ الحربُ،

تفتحُ طقسَ النهايةِ

تطحنُ عظماً

وتخبزُ دمعاً،

ومنْ لزجِ الكلماتِ تسوقُ التراتيلَ

منْ رغوةِ الحقدِ تصنعُ أيقونةً

ونياشينَ..

يا سيّدَ الأرضِ،

ماتَ الجمالُ الذي صنعتْهُ يداكَ

وأدركَهُ عَطَبُ الحربِ

فاختَلَّ وجهُ الزَّمانْ.

(الأطفالُ يتضوَّرونَ جوعاً

تبحثُ شفاهُهم الجافَّةُ عنْ قطراتِ الحليبِ

والقادةُ يتجوَّلونَ في مصانعِ الصُّلْبِ والحديدِ

بحثاً عنْ أحدثِ وسائلِ الدَّمارِ، وأشَدِّها فتكاً

لإلحاقِ الموتِ بأعدائِهم؛

أولئكَ الذينَ كانوا إلى وقتٍ قريبٍ أصدقاءَهم..

يا لَلْمهزلةْ!).

هيَ الحربُ

لا صخرةٌ سوفَ تنجو

إذا احتدمَتْ، أو غرابْ

ولا شيءَ يبقى إذا ما أتتْ

يحفرُ الأبرياءُ قبوراً لهم في الكآبةِ

حينَ تقومُ،

ويحترقونَ انتظاراً لشيءٍ منَ الموتِ

شيءٍ منَ الرَّحمةِ الأبديَّةِ..

أجفانُهم في الفضاءِ معلَّقةٌ

بطيورٍ محمَّلَةٍ بالظلامِ

وأخرى محمَّلَةٍ بالخرابْ.

(تحدِّقُ الوجوهُ في بعضِها، ولا تتكلَّمُ

يبستِ الألفاظُ على الشِّفاهِ

مالتِ الأعناقُ، وتقوَّستِ الظهورُ

واغتسلَتِ الأجسادُ بعَرَقِ الخوفِ..

الحربُ دائرةٌ والموتُ على الأبوابِ

ووجهُ المدينةِ يعلوهُ شحوبٌ صامتٌ

وتسقطُ منْ فتحتيْهِ الحزينتينِ

دمعةٌ في حَجْمِ رصاصةْ).

لا خلاصَ،

المدينةُ مفعمةٌ بالمراراتِ..

منْ أينَ جاءتْ طيورٌ على مَتْنِها الحقدُ؟

منْ أينَ عادتْ طيورٌ على مَتْنِها الموتُ؟

كلُّ الشوارعِ مثخنةٌ

لم يَعُدْ دافئاً

وحنوناً – كما كانَ –

بحرُ الجنوبِ،

الغمامُ المعلّقُ في سَقْفِهِ يتلاشى

يذوبُ منَ الخوفِ،

صدرُ الشَّمالِ اشتكى حُزْنَهُ للهواءِ الملوَّثِ

بالأسبرينْ.

(تقولُ المرأةُ لجارتِها:

نراكم غداً إذا لم يهبطِ الصّاروخُ،

وتتلفَّتُ المآذنُ مذعورةً

وقد تجمَّدَ الأذانُ فوقَ الحجارةِ العتيقةِ،

ويتساءلُ أطفالُ الحارةِ:

أينَ تنامُ الصواريخُ؟

فتجيبُ الأرضُ والرُّعْبُ يملأُ قلبَها:

الصواريخُ تنامُ في صدورِ القَتَلَةِ

مكانَ قلوبِهم!).

القصيدةُ مثقوبةُ الشفتينِ

مُسَمَّرَةُ الكَفِّ

عاجزةٌ أنْ تقولَ،

ومبتلَّةٌ بدمِ الحربِ،

كانتْ إذا ما أطلَّ المساءُ

تداعبُني،

تتسلَّقُ جدرانَ قلبي..

هلِ انكسرَتْ،

مزَّقَتْها شظايا الحروبِ الدَّميمةُ؟

سبعونَ يوماً منَ الموتِ

سبعونَ يوماً منَ الدَّمِ

سبعونَ يوماً منَ الهذيانِ

النساءُ هَجَرْنَ مضاجعَهُنَّ

وماتتْ رياحينُهُنَّ،

المواليدُ أدركَهم زمنٌ شاحبٌ

كالكهولةْ.

(كم قطرةِ دمعٍ غاليةٍ

سالتْ على الوسائدِ،

كم شجرةِ تُفّاحٍ أطالتِ الوقوفَ،

بعدَ مقذوفةٍ وأخرى ثمَّ هاوتْ،

كم قنديلٍ كانَ وعاءً للضوءِ

فصارَ وعاءً للدَّمِ

هل سمعَتْ جنوداً يهتفونَ:

عاشتْ أحلامُنا الميِّتةْ؟!).

لم يَعُدْ صوتُ (فيروزَ) حُلْواً

كما كانَ،

ما عادَ في ثوبِهِ المخْمَليِّ

على ساحلِ البحرِ..

تحلمُ عندَ التلالِ بأغنيةٍ

وقواربَ

لا..

لم يَعُدْ مرهفاً في مواجهةِ الحزنِ

والآخرينْ.

(يحلمُ الناسُ

تحلمُ الجبالُ والوديانُ

تحلمُ الشواطئُ

يحلمُ المقيمُ والمهاجرُ

الزّائرُ والعابرُ،

أنْ تعودَ لجسدِ الوطنِ المريضِ عافيتُهُ

وأنْ يعودَ الناسُ فيهِ فخورينَ بصمودِهم،

كأصابعَ في قبضةٍ واحدةْ).

آهِ يا وطني

أنتَ يا سيّدَ الحزنِ

ربَّ المقامِ الجليلِ

وحاملَ أوجاعِنا،

هل سندنو منَ الشمسِ،

أمْ سوفَ ندنو منَ اللّيلِ؟

هل ستموتُ الفراشاتُ؟

هل ستعيشُ الثعابينُ؟

هل منْ أعالي السَّماءِ

سيقتربُ الشُّهَداءُ إذا رجعوا،

أمْ منَ الهاويةْ؟!

(منْ جنوبِ الرُّوحِ

إلى شَمالِ الرُّوحِ،

يمتدُّ جسرٌ منَ الزمنِ الذَّهَبيِّ،

أجنحةٌ منَ الوردِ والمرمرِ

وتراتيلُ منْ لغةِ النفسِ..

منْ أينَ جاءتْ هذه الوجوهُ المفرغةُ

إلاّ منَ الحقدِ،

ومنَ التكشيراتِ المرَّةِ

ومنْ حِبْرٍ تكمنُ في وقاحتِهِ الأفاعي

ورمادٍ لا أنفاسَ لهْ).

مرثيّة تليق بالوطن

مرثيّة تليق بالوطن

منْ أينَ ينحدرُ الشّقاقُ

منَ البحارِ أمِ الصّحارى،

أمْ منْ غبارٍ قاطنٍ في النفسِ؟

لا ينفكُّ يبحثُ في المدى

عنْ واحةٍ ليغيرَ في وجهِ المياهِ

ويطفئَ الألقَ الذي ما انْفَكَّ

أخضرَ..

يا لَهولِ المتعبينَ منَ السُّرَى

ركبوا غبارَ الإثمِ

وانطلقوا فُرادى

في رحلةٍ كانتْ لمنْ لا قلبَ يؤويهِ

لمنْ لا ماءَ يرويهِ

فضاءً هابطاً..

هل كانَ يدري

أنَّ موتاً في اتساعِ العُمْرِ

يحفرُ قبرَ موطنِهِ،

وأنَّ الواحةَ الخضراءَ يضربُها

الشِّقاقْ؟!

(فإنْ كذَّبوكَ فقلْ: لي عملي ولكم عملُكم.. أنتم بريئونَ مِمّا أعملُ، وأنا بريءٌ مِمّا تعملونَ. ومنهم منْ يستمعونَ إليكَ، أفأنتَ تُسمعُ الصُّمَّ.. ولو كانوا لا يعقلونَ؟ ومنهم منْ ينظرُ إليكَ، أفأنتَ تهدي العُمْيَ ولو كانوا لا يبصرونْ؟(1)

منْ زمانِ الغبارِ القديمِ

(أيادي سَبا)،

ومشاعرُنا تتعلَّمُ.. كيفَ تخونُ الوطنْ،

كيفَ تغدو البيوتُ قُرَىً متناثرةً

وشوارعَ شاحبةً،

كيفَ يأكلُ بعضيَ بعضي،

وكيفَ تشقُّ (الخناجرُ) صدرَ البلادِ

وصدرَ أخي..

أيُّ (سنبلةٍ) زرعَتْها (أيادي سبا)؟

أيُّ (قنبلةٍ) بذرَتْها السنونَ العجافْ؟!

(إني لأَرَى ما لا ترونَ، وأسمعُ ما لا تسمعونَ، ولو علمتُمْ ما أعلمُ لضحكتُمْ قليلاً ولَبكيتُمْ كثيراً، وَلَما تلذَّذْتُم بالنساءِ على الفُرُشِ، ولخرجتُمْ إلى الصُّعُداتِ تجأرونَ إلى اللهِ.. وددْتُ لو أني شجرةٌ تعضدْ)(2).

ما أوسعَ هذا اللَّيلَ

طويلاً كانَ كوجهِ المحنةِ

منقوعاً بالظلماتْ.

تبكي الأشجارُ

وتبكي الأزهارُ على وطنٍ

يغرقُ في ماءِ خطيئتِه،

وتقولُ لقاتلِه:

لا تسرفْ في القتلِ

ولا تدعِ السِّكّينَ المسمومةَ

توغلُ – عمقاً – في لحمِ أخيكِ،

ولا تحصدْ أشجارَ القُرْبى..

أتخمْتَ مقابرَنا

وارتعشَ الأفْقُ

تساقطَ حزناً قلبُ الصخرِ

فكنْ صخراً ذا قلبٍ.. يا هذا.

(هذا البلدُ الذي لا تنامُ فيهِ المياهُ

عَبْرَ سبعةِ قرونٍ كاملةٍ

لم يهدأْ فيها الإعصارُ.

في هذا البلدِ الذي نشمُّ فيهِ الدَّمَ

ارتطمَتْ أمواجُ السيوفِ

وكحصانٍ شَبَّ كتبَ: اللهُ الغالبْ)(3).

دمٌ وغبارٌ

حديدٌ تناثرَ فوقَ الرُّؤوسِ

وفوقَ القصائدِ عَبْرَ النوافذِ..

وا أسفي

ألقُ الكلماتِ تقشَّرَ

وانطفأتْ،

وتوارى بريقُ الكلامِ،

سيغدو العَروضُ كسيحاً

سيغرقُ مختلطاً بدماءِ العصافيرِ

والناسِ،

وا أسفاهُ! بلادٌ تلاشَتْ كَوَهْمٍ

وكانتْ كما تشتهي

وكما نشتهي،

أينَ أهربُ بعدَ سقوطِ الجمالِ

وموتِ الرِّجالْ؟!

(هكذا رُحْنا نبيدُ بعضَنا، ونبيدُ الكثيرَ منْ شركائنا في الأرضِ منْ حيوانٍ وحشراتٍ ونباتٍ؛ اعتقاداً منّا أنها طُفَيليّاتٌ كريهةٌ تعوقُ زَرْعَنا عنِ النموِّ، وتشوّهُ جمالَهُ، وتؤخّرُ نُضْجَهُ..

وقَطُّ، لم يخطرْ لنا في بالٍ؛

الحياةُ ما خلقَتِ الذي خلقتْهُ

إلاّ ليتمِّمَ بعضُنا بعضاً،

فلا زيادةَ فيهِ ولا نقصانْ)(4).

اللّيلةَ لا نومَ،

الشجرُ الذّابلُ يشتاقُ إلى النومِ

جبالٌ ساهرةٌ تشتاقُ إلى النومِ

حقولُ البُنِّ الظامئِ عطشى للنومْ..

هل مـــاتَ النومْ؟

هل يعتقلونَ النومْ؟

هل قتـــلوا النومْ؟!

أسألُ،

أسألُ لكنْ مثلَ الصخرِ الأفواهْ

مثلَ الصخرِ الأجسادُ المطعونةُ بالخوفِ

وبالحبِّ الكذّابِ،

ألَمْ تنجبْ هذي البلدةُ

صوتاً منذوراً لنبوءتِهِ،

ليشقَّ دياجيرَ الظلمةِ،

حينَ يقولُ لعشّاقِ القتلِ: كفى!

(أما كانَ المفروضُ في قابيلَ وهابيلَ

وقدِ انبسطَتْ لهما الأرضُ بطولِها

وعرضِها،

أنْ يتحابّا، ويتعاوَنا

ويعيشا في بحبوحةٍ منَ الأرضِ والسلامِ؛

وكأنَّهما واحدْ)(S).

(عدنٌ) تتوضَّأُ منْ ماءِ البحرِ

و(صنعاءُ) بلا ماءٍ

تتيمَّمُ حيناً برمالِ الصحراءِ

وأحياناً بالشمسِ،

تصلّي الأُختانِ،

وتعتنقانِ أمامَ اللهِ،

صلاةً تصعدُ منْ جسدينِ،

هما جسدٌ واحدْ..

يا اللهُ

ويا ضوءَ الكونِ المبصرِ

لا تتركْنا لذئابٍ يختصمونَ على اللّحمِ

ويختصمونَ على العَظْمِ..

ذئابٍ تتسلّى بالموتِ

وترسمُ تاريخاً أسودَ للوطنِ الواحدْ.

(لقد زوَّدَتِ الحياةُ مخلوقاتِها على الأرضِ

بضروبٍ شَتَّى منَ السلاحِ،

للدفاعِ عنِ النفسِ،

ولكنها جعلَتِ المحبَّةَ أقواها..

إنها السلاحُ الذي لا يقهرْ)(6).

منْ يخونُ كيانيَ

ويقتلُ أبنائيَ الطيِّبينَ؟

– تقولُ البلادُ –

ومنْ يشعلُ النارَ في شجرِ البُنِّ

والبرتقالِ؟

– تقولُ البلادُ –

ومنْ يقتلُ اسْمِيَ

يذبحُني في الجرائدِ

في نشراتِ الصباحِ

وفي نشراتِ المساءِ،

ويرسلُ (طيراً أبابيلَ)

تقصفُ أطفالِيَ الأبرياءَ؟

– تقولُ البلادُ –

ومنْ بالرَّمادِ

وبالدَّمِ يكتبُ أمثولةَ العارِ؟

– قالَ الزَّمانْ!

(رُوِيَ في الخبرِ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ بنِ الخطّاب، أرادَ سَفَراً، فخرجَ وَحْدَ على ناقتِه في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ فعبرَ بالمكانِ الذي قُتِلَ فيه كُفّارُ قريشٍ منْ أهلِ مكَّةَ.. قالَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ: فانْشَقَّتِ الأرضُ وخرجَ منها آدميٌّ أسودُ يشتعلُ ناراً، منْ قَرْنِه إلى قدمِه، وفي عُنُقِه سلسلةٌ يجرُّها خَلْفَهُ، وهوَ يصيحُ يا عبدَ اللهِ اسْقِني. فلا أدري أعرفَني، أو كانَ ينادي إلى غيري؟ فنفرَتِ النّاقةُ منهُ، وخرجَ في أثرِه رجلٌ يدُهُ في طَرَفِ السِّلسلةِ وجعلَ يجرُّهُ؛ ويقولُ: يا عبدَ اللهِ لا تَسْقِه.. هذا عدوُّ اللهِ أبو جَهْلْ!)(7).

بيتُنا السّاحليُّ توارى

يحاصرُهُ الرَّملُ،

هذي نوافذُهُ انطفأتْ

والندى جُنَّ

والبحرُ غادرَهُ مشفقاً

وحزيناً..

عجبتُ له حَجَرَ الرُّوحِ..

كيفَ تكسَّرَ؟

كيفَ اختفى؟

كانَ قلبيَ يهبطُ

والخوفُ يصعدُ..

أينَ اختفى بيتُنا السّاحليُّ؟

وأينَ يغادرُنا البحرُ؟

هل خافَ منْ طلقاتِ الرَّصاصِ

وصوتِ القبيلةِ؟

يا نصفَ روحي

هنا يتوجَّعُ نصفُكَ،

إيّاكَ أنْ تنشطرْ.

(إنَّ عيونَهم لا تحملقُ إلاّ في الأرضِ

يفكّرونَ قبلَ كلّ شيءٍ في أنْ يملأوا البطنَ الكبيرَ،

ثمَّ ينظرونَ بعدَ ذلكَ إلى أيِّ شيءٍ آخرَ..

لا يهمُّ سوى البطنِ..

لا القلبُ، ولا الحياةُ الأبديّةْ!)(8).

هذا زمانٌ للخصومةِ

للحرائقِ

للمشانقِ،

للدَّمِ المسفوحِ مَجّاناً

وللقتلِ الذي ينسلُّ منْ جسدٍ

إلى جسدٍ،

وللبرقِ – الرَّمادِ..

صحوتُ لَمّا جاءني

وبكيتُ

لَمَّعْتُ الحذاءَ،

صرخْتُ في المرآةِ:

هذا ليسَ وجهي،

أينَ وجهي يا رجالَ الحربِ

يا أبطالَ (داحسَ)؟

خافتِ الكلماتُ

خافَ الضوءُ واندثرَ المكانْ!

(هل يعاقبُنا اللهُ لأنهُ يحبُّنا،

أمْ لأنهُ لا يحبُّنا؟

لا أعرفُ.. لستُ سوى إنسانٍ آثمٍ،

لا أستطيعُ الدخولَ في أسرارِ اللهِ،

لكنَّ شيئاً واحداً أنا متأكّدٌ منهُ

هوَ أنَّ هذا الطريقَ مغلقٌ.. طريقٌ مسدودٌ!)(9).

ليسَ كابوساً

ولا حُمَّى المناماتِ،

استوتْ فوقَ سريرِ الجسدِ الشّاحبِ..

هذا خطرٌ يفتحُ عينيهِ معَ الشمسِ

معَ اللّيـــلِ،

هنا الواقعُ عريانَ

بلا ثوبٍ يغطّي قُبْحَهُ

يسترُ بعضَ الكائناتِ المِسْخِ،

هذا جبلٌ منكفئٌ يبكي

وهذا رجلٌ أفعى يواري سوأةَ الحقدِ

فلا يَسْطيعُ،

هذا مدفعٌ يقصفُ بابَ اللهِ مذعوراً

ولا يقرأُ تاريخَ المغولْ!

(منذُ بدأتِ السماءُ تنتحبُ

لم أخرجْ منْ مَنْزِلي منذُ واحدٍ وثلاثينَ يوماً،

ولا بدَّ أنَّ الأرضَ قد أصبحَتِ الآنَ زوجاً منَ الكَمّاشاتِ،

والتصقَتْ قطعٌ منْ لحمِ البشرِ بفَكَّيْها)(10).

رسمتْهُ الثورةُ إنساناً

بطـــلاً،

وأجادتْ في رَسْمِ الأنفِ

وَرَسْمِ العينِ

وَرَسْمِ الفَمِ،

أعطتْهُ منَ الكلماتِ جداولَ..

لكنَّ الثورةَ لم تكُ تدري

أنَّ غباراً شبقاً،

يتكوَّنُ داخلَ هذا الرَّسْمِ،

وأنَّ دخاناً مخفيّاً في القلبِ

وبينَ أصابعِهِ،

أنَّ الكلماتِ الخُضْرَ

ستصبحُ حامضةً في شفتيهِ

غداةَ أماطَ التُّوتةَ عنْ سوأتِهِ..

مَنْ هوَ؟

لم تكنِ الثورةُ ترسمُ فرداً

بل وطناً

وخديعَةْ؟!

(أنا عادُ ابنُ آدمَ

دَوَّخْتُ البلادَ،

وملكْتُ العبادَ

وأرسيتُ الأوتادَ

وأكثرْتُ منَ الأولادِ..

أتانا نبيٌّ فكذَّبْناهُ، ونهى فما صدَّقْناهُ، فجاءتْنا ريحٌ تَنْـزعُ الشَّـوَى؛ فتركتْنا هُمودا)(11).

قد يكونُ اللّقاءَ الأخيرَ معَ الكلماتِ

اللّقاءَ الأخيرَ معَ الشعرِ؛

تدري الجميلةُ (صنعاءُ)..

تعلمُ أني أموتُ

إذا صارَ حُلْمِيَ نصفينِ،

أنَّ القصائدَ تمرضُ

تفقدُ ماءَ براءتِها

ورنينَ الحروفِ،

إذا صارَ حُلْمُ الملايينِ نصفينِ،

لا شأنَ لي بالكتابةِ

لا شأنَ لي بالقراءةِ،

إنْ وضعوني على مركبٍ

مُبْهَمٍ غامضٍ،

شَطَرَتْهُ الرِّياحُ

وألقَتْ بِهِ في يدِ العاصفةْ.

(أسمعُ الهدوءَ يتحرَّكُ في الشَّوارعِ، وألواناً مجهولةً تسبحُ على الأفقِ،

وفيما حولي ينسجُ الشَّجَنُ نبتاً كثيفاً منَ الضوءِ

والظلالِ،

ويتربَّصُونَ لاصطيادي..

محاصَرٌ أنا بالجدرانِ منْ كلِّ مكانٍ، بينَما تتصارعُ اللَّحظاتُ المنسيَّةُ في الخارجِ،

وتصلُ جيوشُ السهرِ

والقصيدةُ معَها)(12).

هـــــوامش : –

1 – قرآنٌ كريم.

2 – حديثٌ نبويٌّ شريف.

3 – منْ قصيدةِ (رثاءِ الأندلس) في ديوان (مجنون إلسا).. أرغون صـــ111.

4 – (يا ابنَ آدمَ).. ميخائيل نعيمة صـــ126.

5 – نفسُهُ.. صـــ163.

6 – نفسُهُ.. صـــ75.

7 – (الإكليلُ) الجزءُ الثامنُ.. أبو الحسن الهمداني، صـــ255.

8 – (الإخوةُ الأعداءُ).. كازنتزاكي، صـــ112.

9 – نفسُهُ.. صـــ222.

10 – (مختاراتٌ منَ الشعر المقدوني) صـــ262.

11 – (الإكليلُ).. أبو الحسن الهمداني، صـــ216.

12 – (مختاراتٌ منَ الشعر المقدوني)، صـــ296.

عبد العزيز المقالح سيرة ذاتية

من مواليد عام 1937م .

حصل على الشهادة الجامعية عام 1970م .

حصل على شهادة الماجستير من كلية الآداب بجامعة عين شمس عام 1973 م.

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة عين شمس عام 1977م.

أستاذ الأدب والنقد الحديث في كلية الآداب – جامعة صنعاء . (درجة الأستاذية عام 1987م)

رئيس جامعة صنعاء من 1982 – 2001م .

رئيس مركز الدراسات والبحوث اليمني – حالياً .

عضو المجمع اللغوي – القاهرة .

عضو المجمع اللغوي – دمشق .

عضو مجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت .

حصل على جائزة اللوتس عام 1986م .

حصل على وسام الفنون والآداب – عدن عام 1980م .

حصل على وسام الفنون والآداب صنعاء 1982م .

حصل على جائزة الثقافة العربية ، اليونسكو ، باريس 2002م .

حصل على جائزة "الفارس" من الدرجة الأولى في الآداب والفنون من الحكومة الفرنسية ، 2003م .

من أعماله الأدبية التي صدرت حتى الآن:

الدواوين الشعرية:

لابد من صنعاء	1971م
مأرب يتكلم "بالاشتراك مع السفير عبده عثمان	1972م
رسالة إلى سيف بن ذي يزن	1973م
هوامش يمانية على تغريبة أبن زريق البغدادي	1974م
عودة وضاح اليمن	1976م
الكتابة بسيف الثأر علي بن الفضل	1978م
الخروج من دوائر الساعة السليمانية	1981م
أوراق الجسد العائد من الموت	1986م
أبجدية الروح	1998م
كتاب صنعاء	1999م
كتاب القرية	2000م
كتاب الأصدقاء	2002م
تأملات شعرية (مترجم للغة الفرنسية)	2003م
بلقيس . . وقصائد لمياه الأحزان	2003م

الدراسات الأدبية والفكرية :

- قراءة في أدب اليمن المعاصر
- الابعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن
- شعر العامية في اليمن .
- يوميات يمانية في الأدب والفن .
- قراءات في الأدب .
- الشعر بين الرؤية والتشكيل .
- أصوات من الزمن الجديد .
- من البيت إلى القصيدة .
- ثرثرات في شتاء الأدب العربي .
- الزبيري ضمير اليمن الثائر .
- قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة .
- شعراء من اليمن .
- الحورش الشهيد المربي .
- عمالقة عند مطلع القرن .
- بدايات جنوبية .
- أوليات النقد الأدبي في اليمن .
- أزمة القصيدة العربية .

- من أغوار الخفاء إلى مشارف التجلي .

- صدمة الحجارة (دراسة في قصيدة الانتفاضة) .

- أوليات المسرح في اليمن .

- علي أحمد باكثير رائد التحديث في الشعر العربي المعاصر

- أوليات المسرح في اليمن .

- دراسات في الرواية والقصة القصيرة في اليمن .

- ثلاثيات نقدية .

- عبد الناصر واليمن فصول من تاريخ الثورة اليمنية .

- من الأنين إلى الثورة .

- الوجه الضائع (دراسات عن الأدب والطفل العربي) .

- تلاقي الأطراف (قراءة أولى في نماذج من أدب المغرب الكبير المغرب - الجزائر - تونس) .

- نقوش مأربيه (دراسات في الإبداع والنقد الأدبي)

دراسات عن شعره :

- اضاءات نقدية : د . عز الدين إسماعيل و د . أحمد عبد المعطي حجازي وآخرون .

- النص المفتوح دراسات في شعر د . عبد العزيز المقالح : مجموعة من النقاد .

- بنية الخطاب الشعري : د . عبد الملك مرتاض .

- شعرية القصيدة : د . عبد الملك مرتاض .

- الحداثة المتوازنة (عبد العزيز المقالح : الحرف ، الذات ، والحياة) : د . إبراهيم الجرادي .

-المضامين السيكولوجية في شعر د. عبد العزيز المقالح: جاسم كريم حبيب.

-ثلاثة شعراء معاصرين من اليمن (باللغة الإنجليزية): بهجت رياض صليب.

-عبد العزيز المقالح، الشاعر المعاصر: د. محمد النهاري، الهيئة العامة للكتاب، 2003م.

-الدكتور عبد العزيز المقالح ناقداً: د. ثابت بداري.

الفهرس

1 – بلقيس 9
2 – رومانتيكيات 25
3 – أسئلة ومرايا..... 33
4 – ضريح من الكلمات لمريم..... 41
5 – شتائية..... 53
6 – خمس لوحات..... 59
7 – إيماء..... 69
8 – في انتظار الذي يأتي..... 75
9 – سبع قصائد للموت..... 83
10 – القصيدة..... 95
11 – خطاب مفتوح لأهل داحس والغبراء.... 103
12 – تسع قصائد لإنسان آخر القرن..... 109
13 – خمس قصائد لعام2002..... 121
14 – خمس قصائد للصيف..... 131
15 – ثلاث قصائد للشعر..... 139
16 – معزوفة غرناطية..... 147
17 – ما تيسر من رعشة الخوف..... 159
18 – ثلاث قصائد..... 169
19 – إلى نزار قباني..... 177
20 – إجهاش..... 189
21 – إلي أصدقائي الذين رحلوا عام 1997م 195
22 – لؤلؤة..... 201

23 – ميراث مبتل بالدم والهذيان..... 209
24 – صعود القصيدة 217
25 – وجه البراءة النائم..... 223
26 – نزيف الروح..... 229
27 – منامات الصنعائي..... 235
28 – بقايا حبر مضيء..... 249
29 – ثلاث رسائل..... 255
30 – قصائد الظهيرة..... 263
31 – صباحية..... 269
32 – قصائد لزمن الطفولة..... 275
33 – ينابيع أولى..... 289
34 – بكائية..... 295
35 – بطاقة للقرن الجديد..... 301
36 – تراتيل ومرايا..... 307
37 – بياض اليقين..... 315
38 – أشجان مائية..... 323
39 – خمس قصائد لمياه الأحزان..... 329
40 – قصيدة الحرب..... 339
41 – مرثية تليق بالوطن..... 355
42 – الفهرس..... 382